سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٠٧٧)

اللغات
عند ابن تيمية
في مصنفاته

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"ص –٢١– لم يأثم . قال عبادك يخطئون وأنت رب تكفل المنايا والحتوم وقال الفراء : الخطأ : الإثم الخطا والخطا والخطاء ممدود . ثلاث **اللغات** . قلت : يقال في العمد : خطأ كما يقال في غير العمد على قراءة ابن عامر فيقال لغير المتعمد : أخطأت كما يقال له : خطيت ولفظ الخطيئة من هذا . ومنه قوله تعالى : ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] وقول السحرة : ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين ﴾ [الشعراء : ٥١] . ومنه قوله في الحديث الصحيح الإلهي : " يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم " وفي الصحيحين عن أبي موسى؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : " اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي؛ وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي " . وفي الصحيحين " عن أبي هريرة؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول ؟ قال : أقول : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد "." (١)

"ص –٧– أبي حنيفة، وهو قول في مذهب أحمد، ووجه في مذهب الشافعي، بخلاف المعاطاة في الأموال الجليلة فإنه لا حاجة إليه، ولم يجر به العرف .

القول الثالث : أنها تنعقد بكل ما دل على مقصودها من قول أو فعل . فكل ما عده الناس بيعا وإجارة فهو بيع وإجارة؛ وإن اختلف اصطلاح الناس في الألفاظ والأفعال، انعقد العقد عند كل قوم بما يفهمونه بينهم، من الصيغ والأفعال، وليس لذلك حد مستمر، لا في شرع، ولا في لغة، بل يتنوع بتنوع اصطلاح الناس، كما تتنوع **لغاتهم** .

فإن لفظ البيع والإجارة في لغة العرب، ليس هو اللفظ الذي في لغة الفرس، أو الروم، أو الترك، أو البربر، أو الحبشة، بل قد تختلف أنواع اللغة الواحدة، ولا يجب على الناس التزام نوع معين من الاصطلاحات في المعاملات، ولا يحرم عليهم التعاقد بغير ما يتعاقد به غيرهم، إذا كان ما تعاقدوا به دالا على مقصودهم، وإن كان قد يستحب بعض الصفات، وهذا ہو الغالب على أصول مالك . وظاهر مذهب أحمد .

ولهذا يصح في ظاهر مذهبه بيع المعاطاة مطلقا، وإن كان قد." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى /٤

(٢) مجموع الفتاوى /٤

"ص -٤٤٩- والقرآن ما يدل إلا على ذلك؛ لأنه قال : ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ [الأحزاب : ٦] ، وقال : ﴿ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، وهذا أيضا دليل ثالث من الآية؛ لأن الضمير في قوله: ﴿ وإذا سألتموهن ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، عائد إلى أزواجه فليس للمملوكات ذكر في الخطاب، لكن إباحة سراريه من بعده فيه نظر

فصل

من قال : من أن السراح والفراق صريح في الطلاق؛ لأن القرآن ورد بذلك، وجعل الصريح ما استعمله القرآن فيه، كما يقوله الشافعي والقاضي وغيرهما من الأصحاب، فقوله ضعيف لوجهين :

أحدهما : أن هذا الأصل لا دليل عليه، بل هو فاسد؛ فإن الواقع أن الناس ينطقون **بلغاتهم** التي توافق لغة العرب أو تخالفها من عربية أخرى عربا مقررة أو مغيرة لفظا أو معنى، أو من عربية مولدة، أو عربية معربة، تلقيت عن العجم، أو عن عجمية، فإن الطلاق ونحوه يثبت بجميع هذه الأنواع من **اللغات**، إذ المدار على المعنى ولم يحرم ذلك عليهم، أو حرم عليهم فلم يلتزموه، فإن ذلك لا يوجب وقوع ما لم يوقعوه وأيضا، فاستعمال القرآن لفظا في معنى." (١)

"ص -٢١٩- فإن قلت : أهل اللغة إنما وضعوا هذه الألفاظ لما يختص به المخلوق فلا يكون حقيقة في غير ذلك .

قلت : ولكن هذا خطأ بإجماع الأمم : مسلمهم وكافرهم وبإجماع أهل **اللغات** فضلا عن أهل الشرائع والديانات وهذا نظير قول من يقول : إن لفظ الوجه إنما يستعمل حقيقة في وجه الإنسان دون وجه الحيوان والملك والجني أو لفظ العلم إنما استعمل حقيقة في علم الإنسان دون علم الملك والجني ونحو ذلك بل قد بينا أن أسماء الصفات عند أهل اللغة بحسب ما تضاف إليه، فالقدر المشترك أن نسبة كل صفة إلى موصوفها كنسبة تلك الصفة إلى موصوفها فالقدر المشترك هو النسبة فنسبة علم الملك والجني ووجوههما إليه كنسبة علم الإنسان ووجهه إليه وهكذا في سائر الصفات والله أعلم .." (٢)

"ص -٨٣- وتأويلها . ويؤخذ من ذلك ما في الأسماء **واللغات** من الاستعارة والتشبيه إما في وضع اللفظ بحيث يصير حقيقة في الاستعمال وإما في الاستعمال فقط مع القرينة إذا كانت الحقيقة أحرى فإن مسميات الأسماء المتشابهة متشابهة . ويؤخذ من ذلك ضرب الأمثال للتصور تارة وللتصديق أخرى . وهي

---

(١) مجموع الفتاوى /٩

(٢) مجموع الفتاوى /١١

نافعة جدا وذلك أن إدراك النفس لعين الحقائق قليل وما لم يدركه فإنما يعرفه بالقياس على ما عرفته فإذا كان هذا في المعرفة ففي التعريف ومخاطبة الناس أولى وأحرى . ثم التماثل والتعادل، يكون بين الوجودين الخارجين وبين الوجودين العلميين الذهنيين وبين الوجود الخارجي والذهني . فالأول يقال : هذا مثل هذا والثاني يقال فيه، مثل هذا كمثل هذا والثالث يقال فيه : هذا كمثل هذا . فالمثل إما أن يذكر مرة أو مرتين أو ثلاث مرات إذا كان التمثيل بالحقيقة الخارجية كما في قوله : ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾ [البقرة : ١٧] فهذا باب المثل وأما باب العدل فقد قال تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ [الأنعام : ١٥٢] وقال تعالى : ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ﴾ [النساء : ١٣٥] الآية وقال : ﴿كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ [المائدة : ٨] وقال : ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ١٠٦] ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ [الطلاق : ٢] فهذا العدل والقسط في هذه المواضع هو الصدق." (١)

"ص -١٤٢- فاليمين التي يقصد بها الحض، أو المنع، أو التصديق، أو التكذيب بالتزامه عند المخالفة ما يكره وقوعه سواء كانت بصيغة القسم، أو بصيغة الجزاء، يمين عند جميع الخلق من العرب وغيرهم؛ فإن كون الكلام يمينا مثل كونه أمرا أو نهيا وخبرا . وهذا المعنى ثابت عند جميع الناس، العرب وغيرهم، وإنما تتنوع **اللغات** في الألفاظ، لا في المعاني، بل ما كان معناه يمينا أو أمرا أو نهيا عند العجم فكذلك معناه يمين أو أمر أو نهي عند العرب . وهذا أيضا يمين الصحابة رضوان الله عليهم وهو يمين في العرف العام، ويمين عند الفقهاء كلهم .

وإذا كان يمينا فليس في الكتاب والسنة لليمين إلا حكمان : إما أن تكون اليمين منعقدة محترمة ففيها الكفارة، وإما ألا تكون منعقدة محترمة كالحلف بالمخلوقات : مثل الكعبة، والملائكة، وغير ذلك فهذا لا كفارة فيه بالاتفاق . فأما يمين منعقدة، محترمة، غير مكفرة، فهذا حكم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يقوم دليل شرعي سالم عن المعارض المقام . فإن كانت هذه اليمين من أيمان المسلمين فقد دخلت في قوله تعالى للمسلمين : ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ [التحريم : ٢] ، وإن لم تكن من أيمانهم، بل كانت من الحلف بالمخلوقات، فلا يجب بالحنث، لا كفارة ولا غيرها، فتكون مهدرة .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى /١١

(٢) مجموع الفتاوى /٢٢

"ص –٢٠٨– خاص؛ بل لفظ الميسر يعمها وجمهور العلماء على أن النرد والشطرنج محرمان بعوض وغير عوض .

وكذلك قوله : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ إلى قوله : ﴿ إذا حلفتم ﴾ [المائدة : ٨٩] ، وقوله : ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ [التحريم : ٢] ، تناول كل أيمان المسلمين التي كانوا يحلفون بها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والتي صاروا يحلفون بها بعد، فلو حلف بالفارسية والتركية والهندية والبربرية باسم الله تعالى بتلك اللغة انعقدت يمينه، ووجبت عليه الكفارة إذا حنث باتفاق العلماء، مع أن اليمين بهذه **اللغات** لم تكن من أيمان المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا بخلاف من حلف بالمخلوقات كالحلف بالكعبة والملائكة، والمشايخ، والملوك، وغير ذلك فإن هذه ليست من أيمان المسلمين، بل هي شرك، كما قال صلى الله عليه وسلم : " من حلف بغير الله فقد أشرك " .

وكذلك قال تعالى : ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا ﴾ [النساء : ٤٣] ، يعم كل ما يسمي صعيدا، ويعم كل ماء : سواء كان من المياه الموجودة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو مما حدث بعده، فلو استخرج قوم عيونا وكان فيها ماء متغير اللون والريح والطعم وأصل الخلقة، وجب الاغتسال به بلا نزاع نعرفه بين." (١)

"ص –٤٨٦– إنه كذب، وإنه ليس فيه الحسين ولا غيره . والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال : إن فيه نصرانيا، بل القرطبي والقسطلاني ذكرا بطلان أمر هذا المشهد في مصنفاتهما . وبينا فيها أنه كذب . كما ذكره أبو الخطاب بن دحية .

وابن دحية هو الذي بني له الكامل دار الحديث الكاملية . وعنه أخذ أبو عمرو بن الصلاح ونحوه كثيرا مما أخذوه من ضبط الأسماء **واللغات** . وليس الاعتماد في هذا على واحد بعينه، بل هو الإجماع من هؤلاء . ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد عليه في مثل هذا الباب أعلم ولا أدق من هؤلاء ونحوهم .

فإذا كان كل هؤلاء متفقين على أن هذا كذب ومين، علم أن الله قد برأ منه الحسين .

وحدثني من حدثني من الثقات : أن من هؤلاء من كان يوصي أصحابه بألا يظهروا ذلك عنه خوفا من شر العامة بهذه البلاد، لما فيهم من الظلم والفساد؛ إذ كانوا في الأصل دعاة للقرامطة الباطنيين . الذين استولوا

---

(١) مجموع الفتاوى /٢٤

عليها مائتي سنة . فزرعوا فيهم من أخلاق الزنادقة المنافقين، وأهل الجهل المبتدعين، وأهل الكذب الظالمين، ما لم يمكن أن ينقلع إلا بعد حين . فإنه قد فتحها بإزالة ملك العبيديين أهل الإيمان." (١)

"ص –٥٣٩– الفقه من أصحابنا وغيرهم على أن حكم الأعيان الثابت لها قبل الشرع مستصحب بعد الشرع، وأن من قال : بأن الأصل في الأعيان الحظر استصحب هذا الحكم حتى يقوم دليل الحل . فأقول : هذا قول متأخر لم يؤثر أصله عن أحد من السابقين . ممن له قدم، وذلك أنه قد ثبت أنها بعد مجيء الرسل على الإطلاق، وقد زال حكم ذلك الأصل بالأدلة السمعية التي ذكرتها، ولست أنكر أن بعض من لم يحط علما بمدارك الأحكام، ولم يؤت تمييزا في مظان الاشتباه، ربما سحب ذيل ما قبل الشرع على ما بعده . إلا أن هذا غلط قبيح لو نبه له لتنبه مثل الغلط في الحساب لا يهتك حريم الإجماع، ولا يثلم سنن الاتباع .

ولقد اختلف الناس في تلك المسألة : هل هي جائزة أم ممتنعة ؟ لأن الأرض لم تخل من نبى مرسل؛ إذ كان آدم نبيا مكلما حسب اختلافهم في جواز خلو الأقطار عن حكم مشروع، وإن كان الصواب عندنا جوازه .

ومنهم من فرضها فيمن ولد بجزيرة، إلى غير ذلك من الكلام الذي يبين لك ألا عمل بها، وأنها نظر محض ليس فيه عمل . كالكلام في مبدأ **اللغات** وشبه ذلك، على أن الحق الذي لا راد له." (٢)

"ص –١٩٩– من الملائكة أشد من تأثيره، وكذلك تأثير الأجسام الطبيعية التي في الأرض، وكذلك تأثير قلوب الآدميين بالدعاء وغيره من أعظم المؤثرات باتفاق المسلمين، وكالصابئة المشتغلين بأحكام النجوم وغيرهم من سائر الأمم، فهو في الأمر العام جزء السبب، وإن فرضنا أنه سبب مستقل، أو أنه مستلزم لتمام السبب، فالعلم به غير ممكن لسرعة حركته، وإن فرض العلم به، فمحل تأثيره لا ينضبط؛ إذ ليس تأثير خسوف الشمس في الإقليم الفلاني بأولى من الإقليم الآخر، وإن فرض أنه سبب مستقل قد حصل بشروطه، وعلم به، فلا ريب أن ما يصغر من الأعمال الصالحة من الصلاة والزكاة والصيام والحج وصلة الأرحام، ونحو ذلك، مما أمرت به الشريعة يعارض مقتضى ذلك السبب؛ ولهذا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة والدعاء والاستغفار والعتق والصدقة عند الخسوف، وأخبر أن الدعاء والبلاء يلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض .

---

(١) مجموع الفتاوى /٣٧

(٢) مجموع الفتاوى /٦٧

و المنجمون يعترفون بذلك حتى قال كبيرهم [بطليموس] : ضجيج الأصوات في هياكل العبادات، بفنون الدعوات، من جميع **اللغات**، يحلل ما عقدته الأفلاك الدائرات . فصار ما جاءت به الشريعة إن حدث سبب خير كان ذلك، الصلاة والزكاة يقويه ويؤيده، وإن حدث سبب شر كان ذلك العمل يدفعه، وكذلك استخارة العبد لربه إذا هم بأمر كما." (١)

"ص -٤٨٥- لأنه بني على أصل فاسد متناقض، والقول المتناقض إذا طرده صاحبه وألزم صاحبه لوازمه ظهر من فساده وقبحه ما لم يكن ظاهرا قبل ذلك .

وأن لم يطرده تناقض وظهر فساده، فيلزم فساده على التقديرين .

ولهذا لا يوجد للقائلين بالمجاز قول ألبتة، بل كل أقوإلهم متناقضة، وحدودهم والعلامات التي ذكروها فاسدة؛ إذ كان أصل قولهم باطلا، فابتدعوا في اللغة تقسيما وتعبيرا لا حقيقة له في الخارج، بل هو باطل، فلا يمكن أن يتصور تصورا مطابقا ولا يعبر عنه بعبارة سديدة؛ بخلاف المعنى المستقيم فإنه يعبر عنه بالقول السديد، كما قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ [الأحزاب : ٧٠] ، والسديد : الساد الصواب المطابق للحق من غير زيادة ولا نقصان، وهو العدل والصدق، بخلاف من أراد أن يفرق بين المتماثلين ويجعلهما مختلفين؛ بل متضادين؛ فإن قوله ليس بسديد . وهذا يبسط في موضعه .

والمقصود هنا : أن الذين يقولون : ليس في القرآن مجاز أرادوا بذلك أن قوله : ﴿واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] اسأل الجدران؛ والعير البهائم، ونحو ذلك مما نقل عنهم فقد أخطأوا . وإن جعلوا اللفظ المستعمل في معنى في غير القرآن مجازا وفيه ليس بمجاز فقد أخطأوا أيضا . وإن قصدوا أن في غير القرآن من **المبالغات** والمجازفات والألفاظ التي لا يحتاج إليها ونحو ذلك مما ينزه القرآن عنه فقد أصابوا في ذلك . وإذا قالوا :." (٢)

"ص -٤٨٧- الرقاب على سبيل البدل، فأي رقبة أعتقها أجزأته . كذلك إذا قيل خرج دل على وجود خروج، ثم قد يكون قليلا؛ وقد يكون كثيرا . وقد يكون راكبا؛ وقد يكون ماشيا؛ ومع هذا فلا يتناول على سبيل البدل إلا خروجا يمكن من زيد .

وأما أن هذا اللفظ يقتضي عموم كل ما يسمى خروجا في الوجود لا على سبيل الجمع فهذا لا يقوله القائل

---

(١) مجموع الفتاوى /٧٥

(٢) مجموع الفتاوى /٨٧

إلا إذا فسد تصوره، وكان إلى الحيوان أقرب ، والظن بابن جني أنه لا يقول هذا .

ثم هذا المعنى موجود في سائر **اللغات** فهل يقول عاقل : إن أهل **اللغات** جميعهم الذين يتكلمون بالجمل الفعلية التي لا بد منها في كل أمة إنما وضعوا تلك الجملة الفعلية على جميع أنواع ذلك الفعل الموجود في العالم، وأن استعمال ذلك في بعض الأفراد عدول باللفظ عما وضع له ؟ ولكن هذا مما يدل على فساد أصل القول بالمجاز إذا أفضى إلى أن يقال : في الوجود مثل هذا الهذيان، ويجعل ذلك مسألة نزاع توضع في أصول الفقه .

فمن قال من نفاة المجاز في القرآن : أنا لا نسمي ما كان في القرآن ونحوه من كلام العرب مجازا، وإنما نسمي مجازا ما خرج عن ميزان العدل، مثل ما يوجد في كلام الشعراء من المبالغة في المدح والهجو." (١)

"ص -٤٨٩- الله، وأجاب دعاءه سواء كان معربا أو ملحونا، والكلام المذكور لا أصل له، بل ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الإعراب ألا يتكلف الإعراب، قال بعض السلف : إذا جاء الإعراب، ذهب الخشوع، وهذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به، فإن أصل الدعاء من القلب، واللسان تابع للقلب .

ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه، أضعف توجه قلبه، ولهذا يدعو المضطر بقلبه دعاء يفتح عليه، لا يحضره قبل ذلك، وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه . والدعاء يجوز بالعربية، وبغير العربية، والله سبحانه يعلم قصد الداعي، ومراده، وإن لم يقوم لسانه، فإنه يعلم ضجيج الأصوات، باختلاف **اللغات**، على تنوع الحاجات .

وقال رحمه الله :

فصل

وأما السلام من الصلاة، فالمختار عند مالك ومن تبعه من أهل المدينة تسليمة واحدة في جميع الصلاة، فرضها ونفلها، المشتملة على الأركان الفعلية، أو على ركن واحد .." (٢)

"ص -٦١- الآية [الأنفال : ٧٥] . ليس من شرط من يكون مع المطاع أن يكون مشاهدا للمطاع ناظرا إليه .

وقد قيل في : ﴿ربيون﴾ هنا : إنهم العلماء، فلما جعل هؤلاء هذا كلفظ الرباني، وعن ابن زيد هم الأتباع

---

(١) مجموع الفتاوى /٨٩

(٢) مجموع الفتاوى /٢٣٣

كأنه جعلهم المربوبين . والأول أصح من وجوه :

* أحدها : أن الربانيين عين الأحبار، وهم الذين يربون الناس، وهم أئمتهم فى دينهم، ولا يكون هؤلاء إلا قليلا .

* الثانى : أن الأمر بالجهاد والصبر لا يختص بهم، وأصحاب الأنبياء لم يكونوا كلهم ربانيين، وإن كانوا قد أعطوا علما ومعهم الخوف من الله عز وجل .

* الثالث : أن استعمال لفظ الربانى فى هذا ليس معروفا فى اللغة .

* الرابع : أن استعمال لفظ الربى فى هذا ليس معروفا فى اللغة، بل المعروف فيها هو الأول، والذين قالوه قالوا : هو نسبة للرب بلا نون والقراءة المشهور [ربى] بالكسر، وما قالوه إنما يتوجه على من قرأه بنصب الراء، وقد قرئ بالضم، فعلم أنها **لغات** .

* الخامس : أن الله تعالى يأمر بالصبر والثبات كل من يأمره بالجهاد، سواء كان من الربانيين أو لم يكن .

* السادس : أنه لا مناسبة فى تخصيص هؤلاء بالذكر، وإنما المناسب ذكرهم فى مثل قوله : ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار﴾ الآية [المائدة : ٦٣] . وفى قوله : ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ [آل عمران : ٧٩] فهناك ذكرهم به مناسبا .

السابع : قيل : إن الربانى منسوب إلى الرب، فزيادة الألف والنون كاللحيانى، وقيل : إلى تربيته الناس، وقيل : إلى ربان السفينة، وهذا أصح، فإن." (١)

"ص -١٠٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم لو نفي عن نفسه أنه يستغاث به، ونحو ذلك، يشير به إلى التوحيد، وإفراد البارى بالقدرة، لم يكن لنا نحن أن ننفي ذلك، ونجوز أن نطلق أن النبي صلى الله عليه وسلم والصالح يستغاث به، يعنى في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى، ولا يحتاج أن يقول على سبيل أنه وسيلة وواسطة، وأن القائل لا يستغاث به متنقصا له، وأنه كافر بذلك، لكنه يعذر إذا كان جاهلا، فإذا عرف معنى الاستغاثة ثم أصر على قوله بعد ذلك صار كافرا

والتوسل به استغاثة به كما تقدم، فهل يعرف أنه قال أحد من علماء المسلمين : إنه يجوز أن يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم والصالح، في كل ما يستغاث به الله تعالى ؟ وهل يجوز إطلاق ذلك ؟ كما قال القائل، وهل التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو الصالح أو غيرهما إلى الله تعالى في كل شيء استغاثة بذلك المتوسل به ؟ كما نقله هذا القائل عن جميع **اللغات**، وسواء كان التوسل بالنبي صلى الله

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٧

عليه وسلم أو الصالح استغاثة به، أو لم يكن، فهل يعرف أن أحدا من العلماء قال : إنه يجوز التوسل إلى الله بكل نبي وصالح ؟ فقد أفتى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في فتاويه المشهورة : أنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم إن صح الحديث فيه، فهل قال أحد خلاف ما أفتى به الشيخ المذكور ؟

وبتقدير أن يكون في المسألة خلاف، فمن قال : لا يتوسل بسائر الأنبياء والصالحين، كما أفتى الشيخ عز الدين ؟ هل يكفر كما كفره هذا القائل ؟ ويكون ما أفتى به الشيخ كفرا، بل نفس التوسل به لو قال قائل : لا يتوسل به،." (١)

"ص -١٢٧- ومن قال : إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى : ١١] . يسمع ضجيج الأصوات باختلاف **اللغات** على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين .

الوجه الثانى : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلابد له من أنصار وأعوان، لذله وعجزه . والله سبحانه ليس له ظهير، ولا ولى من الذل، قال تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في لسماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ [سبأ : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل كبره تكبيرا﴾ [الإسراء : ١١١] .

وكل ما فى الوجود من الأسباب فهو خالقه، وربه ومليكه، فهو الغنى عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه،بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم فى الحقيقة شركاؤهم فى الملك . والله تعالى ليس له شريك فى الملك، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته، والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج . فإذا خاطب الملك من ينصحه، ويعظمه، أو من يدل عله، بحيث يكون يرجوه ويخافه، تحركت إرادة الملك." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/١١

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/١٣

"ص -٣٦٦- إنزال النعم، وإزالة الضر والسقم،من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده، أو يعينه على قضاء حوائجهم .

والأسباب التى بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها . فهو مسبب الأسباب وهو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . ﴿يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن : ٢٩] ، فأهل السموات يسألونه، وأهل الأرض يسألونه، وهو سبحانه لا يشغله سمع كلام هذا عن سمع كلام هذا، ولا يغلطه اختلاف أصواتهم **ولغاتهم**، بل يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف **اللغات**، على تفنن الحاجات، ولا يبرمه إلحاح الملحين، بل يحب الإلحاح فى الدعاء .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الأحكام أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابتهم كما قال تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ [البقرة : ١٨٩] ، ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ [البقرة ٢١٩] ، ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾ [البقرة : ٢١٧] إلى غير ذلك من مسائلهم .

فلما سألوه عنه سبحانه وتعالى قال : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة ١٨٦] ، فلم يقل سبحانه : " فقل " بل قال : تعالى : ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداع﴾ .

فهو قريب من عباده، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث لما كانوا يرفعون أصواتهم بالذكر والدعاء، فقال : " أيها الناس، اربعوا على أنفسكم،." [١]

"ص -٢٠١- وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس عين وجود ماهيته فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنا وإن قلنا إن وجود الشيء عين ماهيته لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى غيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء الأجناس، فإن اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطئ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الإطلاق إلا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج فإنه على ذلك تنتفي الأسماء المتواطئة وهي جمهور الاسماء الموجودة في **اللغات** وهي أسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المعلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا، وسواء كان جنسا منطقيا أو فقهيا أو لم يكن، بل اسم الجنس في اللغة

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٤/١٤

تدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ونحو ذلك وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة، قال الذهبي : ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد .." (١)

"ص -١٠٥- الفلاسفة الصابئين، ولا يقر إقرار الحنفاء العلماء المؤمنين . وكذلك [الصحابة] ، وإن كان يقول بعدالتهم فيما نقلوه وبعلمهم في الجملة لكن يزعم في مواضع : أنهم لم يعلموا شبهات الفلاسفة وما خاضوا فيه؛ إذ لم يجد مأثورا عنهم التكلم بلغة الفلاسفة، ويجعل هذا حجة له في الرد على من زعم . . . [بياض] .

وكذلك هذه المقالات لا تجدها إلا عند أجهل المتكلمين في العلم، وأظلمهم من هؤلاء المتكلمة والمتفلسفة والمتشيعة والاتحادية في الصحابة، مثل قول كثير من العلماء والمتأمرة : أنا أشجع منهم، وإنهم لم يقاتلوا مثل العدو الذي قاتلناه، ولا باشروا الحروب مباشرتنا، ولا ساسوا سياستنا، وهذا لا تجده إلا في أجهل الملوك وأظلمهم .

فإنه إن أراد أن نفس ألفاظهم، وما يتوصلون به إلى بيان مرادهم من المعاني لم يعلموه، فهذا لا يضرهم؛ إذ العلم بلغات الأمم ليس مما يجب على الرسل وأصحابهم، بل يجب منه ما لا يتم التبليغ إلا به، فالمتوسطون بينهم من التراجمة يعلمون لفظ كل منهما ومعناه . فإن كان المعنيان واحدا كالشمس والقمر، وإلا علموا ما بين المعنيين من الاجتماع والافتراق، فينقل لكل منهما مراد صاحبه، كما يصور المعاني ويبين ما بين المعنيين من التماثل، والتشابه، والتقارب .." (٢)

"ص -١٧٦- وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه في أصول السنة ما يعرف به اعتقادهم .

وذكر في تراجمهم ما فيه تنبيه على مراتبهم ومكانتهم في الإسلام، وذكر أنه اقتصر في النقل عنهم دون غيرهم؛ لأنهم هم المقتدى بهم والمرجوع شرقا وغربا إلى مذاهبهم؛ ولأنهم أجمع لشرائط القدوة والإمامة من غيرهم، وأكثر لتحصيل أسبابها وأدواتها، من جودة الحفظ والبصيرة، والفطنة والمعرفة بالكتاب، والسنة، والإجماع والسند والرجال، والأحوال، ولغات العرب، ومواضعها، والتاريخ، والناسخ، والمنسوخ، والمنقول، والمعقول، والصحيح، والمدخول في الصدق، والصلابة، وظهور الأمانة، والديانة، ممن سواهم .

قال : وإن قصر واحد منهم في سبب منها، جبر تقصيره قرب عصره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان،

---

(١) مجموع الفتاوى ٩/٣٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٠٧/٤٧

باينوا هؤلاء بهذا المعنى من سواهم، فإن غيرهم من الأئمة وإن كانوا في منصب الإمامة لكن أخلوا ببعض ما أشرت إليه مجملا من شرائطها؛ إذ ليس هذا موضعا لبيانها .

قال : ووجه ثالث لابد من أن نبين فيه، فنقول : إن في النقل عن هؤلاء إلزاما للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة، فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه، أو يبدعه، أو يكفره، فانتحال مذهبه مع مخالفته." (١)

"ص -٣٠١- وقال آخرون : يتخاطبون بالسريانية؛ لأنها لغة آدم ، وعنها تفرعت اللغات .

وقال آخرون : إلا أهل الجنة ، فإنهم يتكلمون بالعربية .

وكل هذه الأقوال لا حجة لأربابها ، لا من طريق عقل ولا نقل ، بل هي دعاوي عارية عن الأدلة ، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم .." (٢)

"ص -٩- وطريقة الخلف أعلم وأحكم] - وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيحا . فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف : إنما أتوا من حيث ظنوا : أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ [البقرة : من الآية ٧٨] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات . فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم . وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف . وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى - وهي التي يسمونها طريقة السلف - وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف - فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٢/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ٣/٦٠

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٧١

"ص -١٣٣- وقد قيل لابن عباس : كيف يكلمهم يوم القيامة كلهم في ساعة واحدة ؟ قال : كما يرزقهم كلهم في ساعة واحدة . والله ـ سبحانه ـ في الدنيا يسمع دعاء الداعين، ويجيب السائلين، مع اختلاف **اللغات**، وفنون الحاجات، والواحد منا قد يكون له قوة سمع يسمع كلام عدد كثير من المتكلمين، كما أن بعض المقرئين يسمع قراءة عدة، لكن لا يكون إلا عددا قليلا قريبا منه، ويجد في نفسه قربا ودنوا، وميلا إلى بعض الناس الحاضرين والغائبين دون بعض، ويجد تفاوت ذلك الدنو والقرب .

والرب ـ تعالى ـ واسع عليم، وسع سمعه الأصوات كلها، وعطاؤه الحاجات كلها .

ومن الناس من غلط فظن أن قربه من جنس حركة بدن الإنسان، إذا مال إلى جهة انصرف عن الأخرى، وهو يجد عمل روحه يخالف عمل بدنه؛ فيجد نفسه تقرب من نفوس كثيرين من الناس، من غير أن ينصرف قربها إلى هذا عن قربها إلى هذا .

وبالجملة فقرب الرب من قلوب المؤمنين، وقرب قلوبهم منه، أمر معروف لا يجهل؛ فإن القلوب تصعد إليه على قدر ما فيها من الإيمان والمعرفة، والذكر والخشية والتوكل . وهذا متفق عليه بين الناس كلهم، بخلاف القرب." (١)

"ص -٢٠٢- وجه لا يماثل أحدا من المخلوقين وإن كان بين كل قسمين قدر مشترك، وذلك القدر المشترك هو مسمى اللفظ عند الإطلاق، فإذا قيد بأحد المحلين تقيد به .

فإذا قيل : وجود وماهية وذات، كان هذا الاسم متناولا للخالق والمخلوق، وإن كان الخالق أحق به من المخلوق، وهو حقيقة فيهما . فإذا قيل : وجود الله وماهيته وذاته اختص هذا بالله، ولم يبق للمخلوق دخول في هذا المسمى، وكان حقيقة لله وحده . وكذلك إذا قيل : وجود المخلوق وذاته اختص ذلك بالمخلوق وكان حقيقة للمخلوق . فإذا قيل : وجود العبد وماهيته وحقيقته لم يدخل الخالق في هذا المسمى، وكان حقيقة للمخلوق وحده .

والجاهل يظن أن اسم الحقيقة إنما يتناول المخلوق وحده، وهذا ضلال معلوم الفساد بالضرورة في [العقول] و [الشرائع] و [**اللغات**] ، فإنه من المعلوم بالضرورة أن بين كل موجودين قدرا مشتركا وقدرا مميزا، والدال على ما به الاشتراك وحده لا يستلزم ما به الامتياز، ومعلوم بالضرورة من دين المسلمين أن الله مستحق للأسماء الحسنى، وقد سمى بعض عباده ببعض تلك الأسماء، كما سمى العبد سميعا بصيرا، وحيا وعليما، وحكيما، ورءوفا رحيما، وملكا، وعزيزا، ومؤمنا ، وكريما، وغير ذلك . مع العلم بأن الاتفاق

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٧٢

في الاسم لا يوجب مماثلة الخالق بالمخلوق، وإنما يوجب الدلالة على أن بين المسميين قدرا مشتركا فقط، مع أن المميز الفارق أعظم من المشترك الجامع .." (١)

"ص –٢٠٣– وأما [اللغات] فإن جميع أهل اللغات ـ من العرب والروم، والفرس، والترك، والبربر، وغيرهم ـ يقع مثل هذا في لغاتهم، وهو حقيقة في لغات جميع الأمم، بل يعلمون أن الله أحق بأن يكون قادرا فاعلا من العبد، وأن استحقاق اسم الرب القادر له حقيقة أعظم من استحقاق العبد لذلك، وكذلك غيره من الأسماء الحسنى .

وقول الناس : إن بين المسميين قدرا مشتركا، لا يريدون بأن يكون في الخارج عن الأذهان أمر مشترك بين الخالق والمخلوق؛ فإنه ليس بين مخلوق ومخلوق في الخارج شيء مشترك بينهما، فكيف بين الخالق والمخلوق، وإنما توهم هذا من توهمه من أهل [المنطق اليوناني] ومن اتبعهم، حتى ظنوا أن في الخارج ماهيات مطلقة مشتركة بين الأعيان المحسوسة، ثم منهم من يجردها عن الأعيان كأفلاطون، ومنهم من يقول : لا تنفك عن الأعيان كأرسطو، وابن سينا، وأشباههما .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع، وبينا ما دخل على من اتبعهم من الضلال في هذا الموضع في [المنطق والإلهيات] ، حتى إن طوائف من النظار قالوا : إنا إذا قلنا : إن وجود الرب عين ماهيته ـ كما هو قول أهل الإثبات، ومتكلمة أهل الصفات : كابن كلاب، والأشعري وغيرهما ـ يلزم من ذلك أن يكون لفظ [الوجود] مقولا عليهما بالإشتراك اللفظي، كما ذكره أبو عبد الله الرازي عن الأشعري، وأبي الحسين البصري وغيرهم؛ وليس هذا مذهبهم،." (٢)

"ص –٢٠٨– فتلك الحقائق التي في الآخرة ليست مماثلة لهذه الحقائق التي في الدنيا، وإن كانت مشابهة لها من بعض الوجوه، والاسم يتناولها حقيقة، ومعلوم أن الخالق أبعد عن مشابهة المخلوق، فكيف يجوز أن يظن أن فيما أثبته الله ـ تعالى ـ من أسمائه وصفاته مماثلا لمخلوقاته ؟ وأن يقال : ليس ذلك بحقيقة، وهل يكون أحق بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات والأرض ؟ ! مع أن مباينته للمخلوقات أعظم من مباينة كل مخلوق .

والجاهل يضل بقول المتكلمين : إن العرب وضعوا لفظ الاستواء لاستواء الإنسان على المنزل أو الفلك، أو استواء السفينة على الجودي، ونحو ذلك من استواء بعض المخلوقات، فهذا كما يقول القائل : إنما

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٧٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٧٥

وضعوا لفظ السمع والبصر والكلام لما يكون محله حدقة وأجفانا وأصمخة وأذنا وشفتين، وهذا ضلال في الشرع وكذب، وإنما وضعوا لفظ الرحمة والعلم والإرادة لما يكون محله مضغة لحم وفؤاد، وهذا كله جهل منه .

فإن العرب إنما وضعت للإنسان ما أضافته إليه، فإذا قالت : سمع العبد، وبصره، وكلامه، وعلمه، وإرادته، ورحمته، فما يخص به يتناول ذلك خصائص العبد . وإذا قيل : سمع الله وبصره، وكلامه وعلمه، وإرادته ورحمته، كان هذا متناولا لما يخص به الرب، لا يدخل في ذلك شيء من خصائص المخلوقين، فمن ظن أن هذا الاستواء إذا كان حقيقة يتناول شيئا من صفات المخلوقين مع كون النص قد خصه بالله، كان جاهلا جدا بدلالات **اللغات**، ومعرفة الحقيقة والمجاز .." (١)

"ص -٢٤٦- فصل

في تمام الكلام في القرب

والرب ـ سبحانه ـ لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل، بل هو ـ سبحانه ـ يكلم العباد يوم القيامة ويحاسبهم، لا يشغله هذا عن هذا .

قيل لابن عباس : كيف يكلمهم يوم القيامة كلهم في ساعة واحدة ؟ قال : كما يرزقهم في ساعة واحدة، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر) .

والله ـ سبحانه ـ في الدنيا يسمع دعاء الداعين، ويجيب السائلين؛ مع اختلاف **اللغات**، وفنون الحاجات . والواحد منا قد يكون له قوة سمع يسمع كلام عدد كثير من المتكلمين، كما أن بعض المقرئين يسمع قراءة عدة، لكن لا يكون إلا عددا قليلا قريبا منه، والواحد منا يجد في نفسه قربا ودنوا وميلا إلى بعض الناس الحاضرين والغائبين، دون بعض، ويجد تفاوت ذلك الدنو والقرب . والرب ـ تعالى ـ واسع عليم، وسع سمعه الأصوات كلها، وعطاؤه الحاجات كلها .." (٢)

"ص -٤١٧- مالك] و [مسند أحمد بن حنبل] ، وغير ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا أحب الله العبد نادى في السماء : ياجبريل، إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل : إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/٧٥

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/٧٦

في الأرض " ، وقال في البغض مثل ذلك .

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الفرق بين نداء الله ونداء جبريل، فقال في نداء الله : " يا جبريل، إني أحب فلانا فأحبه " ، وقال في نداء جبريل : " إن الله يحب فلانا فأحبوه " ، وهذا موجب اللغة التي بها خوطبنا، بل وموجب جميع **اللغات**، فإن ضمير المتكلم لا يقوله إلا المتكلم . فأما من أخبر عن غيره فإنما يأتي باسمه الظاهر وضمائر الغيبة . وهم يمثلون نداء الله بنداء السلطان ويقولون : قد يقال : نادى السلطان، إذا أمر غيره بالنداء وهذا كما قالت الجهمية المحضة في تكليم الله لموسى : إنه أمر غيره فكلمه، لم يكن هو المتكلم .

فيقال لهم : إن السلطان إذا أمر غيره أن ينادي أو يكلم غيره أو يخاطبه؛ فإن المنادي ينادي : معاشر الناس، أمر السلطان بكذا، أو رسم بكذا، لا يقول : إني أنا أمرتكم بذلك .

ولو تكلم بذلك لأهانه الناس ولقالوا : من أنت حتى تأمرنا ؟ ! والمنادي كل ليلة يقول : " من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ "كما في ندائه." (١)

"ص -٤٨٠- لا يحصى عدده إلا الله، وكل واحد منهم يقول الله له كما يقول لهذا، كما يحاسبهم كذلك، فيقول لكل واحد ما يقول له من القول في ساعة واحدة . وكذلك سمعه لكلامهم يسمع كلامهم كله مع اختلاف **لغاتهم**، وتفنن حاجاتهم، يسمع دعاءهم سمع إجابة، ويسمع كل ما يقولونه سمع علم وإحاطة لا يشغله سمع عن سمع . ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، فإنه سبحانه هو الذي خلق هذا كله، وهو الذي يرزق هذا كله وهو الذي يوصل الغذاء إلى كل جزء جزء من البدن على مقداره وصفته المناسبة له، وكذلك من الزرع .

وكرسيه قد وسع السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، فإذا كان لا يؤوده خلقه ورزقه على هذه التفاصيل، فكيف يؤوده العلم بذلك، أو سمع كلامهم، أو رؤية أفعالهم، أو إجابة دعائهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [الزمر : ٦٧] .

وهذه الآية مما تبين خطأ هؤلاء، فإنه سبحانه وتعالى قال : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ، وقد ثبت في الصحيحين من

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٠/٨٠

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه، ويقول : أنا الملك، أنا الملك، أين ملوك الأرض ؟ ! " .." (١)

"ص -٦٢- فصل

قد عرف أن الأشياء لها وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان، وهو : العيني، والعلمي، واللفظي، والرسمي .

ثم قال : من قال : إن الوجود العيني والعلمي لا يختلف باختلاف الأعصار والأمصار، والأمم، بخلاف اللفظي والرسمي فإن اللغات تختلف باختلاف الأمم كالعربية والفارسية، والرومية والتركية .

وهذا قد يذكره بعضهم في كلام الله تعالى إنه هو المعنى الذي لا يختلف باختلاف الأمم، دون الحروف التي تختلف كما هو قول الكلابية والأشعرية، ويضمون إلى ذلك، إلى أن كتبه إنما اختلفت لاختلاف لفظها فقط؛ فكلامه بالعبرية هو التوراة، وبالعربية هو القرآن، كما يقولون : إن المعنى القديم، يكون أمرا ونهيا وخبرا، فهذه صفات عارضة له؛ لا أنواع له .

ويذكر بعضهم هذا القول مطلقا في أصول الفقه في مسائل اللغات، ويذكره بعضهم في مسألة الاسم والمسمى، وأسماء الله الحسنى، كأبي حامد .." (٢)

"ص -٦٣- قلت : وهذا القول فيه نظر، وبعضه باطل، وذلك أن ألفاظ اللغات منها : متفق عليه، كالتنور، وكما يوجد من الأسماء المتحدة في اللغات .

ومنها : متنوع كأكثر اللغات . واختلافها اختلاف تنوع لا تضاد؛ كاختلاف الاسمين للمسمى الواحد . وكذلك معاني اللغات، فإن المعنى الواحد الذي تعلمه الأمم، وتعبر عنه كل أمة بلسانها، قد يكون ذلك المعنى واحدا بالنوع في الأمم، بحيث لا يختلف كما يختلف اللفظ الواحد بالعربية .

وقد يكون تصور ذلك المعنى متنوعا في الأمم مثل : أن يعلمه أحدهم بنعت، ويعبر عنه باعتبار ذلك النعت، وتعلمه الأمة الأخرى بنعت آخر، وتعبر عنه باعتبار ذلك النعت، كما هو الواقع في أسماء الله وأسماء رسوله، وكتابه، وكثير من الأسماء المعبر بها عن الأشياء المتفق على علمها في الجملة : " فتكرى، وخداي، ونست شك " ، ونحو ذلك، وإن كانت أسماء لله تعالى فليس معناها مطابقا من كل وجه لمعنى اسم الله، وكذلك " بيغنير وبهشم " و نحو ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٤/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٨٦

ولهذا إذا تأملت الألفاظ التي يترجم بها القرآن من الألفاظ الفارسية والتركية وغيرها تجد بين المعاني نوع فرق، وإن كانت متفقة في الأصل، كما أن اللغتين متفقة في الصوت، وإن اختلفت في تأليفه، وقد تجد التفاوت بينها أكثر من التفاوت بين الألفاظ المتكافئة الواقعة بين المترادفة والمتباينة كالصارم والمهند، وكالريب والشك، والمور والحركة، والصراط والطريق .." (١)

"ص -٦٤- تختلف اللغتان أيضا في قدر ذلك المعنى، وعمومه وخصوصه، كما تختلف في حقيقته ونوعه، و تختلف أيضا في كيفيته وصفته وغير ذلك .

بل الناطقان بالاسم الواحد باللغة الواحدة، يتصور أحدهما منه ما لم يتصور الآخر حقيقته وكميته وكيفيته وغير ذلك؛ فإذا كان المعنى المدلول عليه بالاسم الواحد لا يتحد من كل وجه في قلب الناطقين، بل ولا في قلب الناطق الواحد في الوقتين، فكيف يقال : إنه يجب اتحاده في **اللغات** المتعددة ؟

يوضح ذلك : أن ما تعلمه الملائكة منه ليس على حد ما يعلمه البشر، وما يعلمه الله فيه ليس على حد ما تعلمه الملائكة؛ لكن الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد .

وأما قول من قال : إن معاني الكتب المنزلة سواء، ففساده معلوم بالاضطرار، فإنا لو عبرنا عن معاني القرآن بالعبرية، وعن معاني التوراة بالعربية، لكان أحد المعنيين ليس هو الآخر، بل يعلم بالاضطرار تنوع معاني الكتب واختلافها ا‌ختلاف تنوع أعظم من اختلاف حروفها، لما بين العربية والعبرية من التفاوت، وكذلك معاني البقرة ليست هي معاني آل عمران .

وأبعد من ذلك جعل الأمر هو الخبر، ولا ينكر أن هذه المختلفات قد تشترك في حقيقة ما، كما أن **اللغات** تشترك في حقيقة ما، فإن جاز أن يقال : إنها واحدة مع تنوعها، فكذلك **اللغات** سواء، بل اختلاف المعاني أشد .

أما دعوى كون أحدهما صفة حقيقية، والأخرى وضعية، فليس كذلك." (٢)

"ص -٦٥- ووهذا موضع ينتفع به في الأسماء **واللغات**، وفي أصول الدين، والفقه، وفي معرفة ترجمة **اللغات** .

وأيضا، لم يجر العرف بأن اللغة الواحدة، واللفظ الواحد يكون النطق به من جميع الناطقين على حد واحد، ليس فيه تفاوت أصلا، فإن حصل المقصود بالجميع فكذلك المعنى الواحد، فإن **اللغات** وإن اختلفت

---

(١) مجموع الفتاوى ٨٦/٣

(٢) مجموع الفتاوى ٨٦/٤

فقد يحصل أصل المقصود بالترجمة، فكذلك المعاني، فإن الترجمة تكون في اللفظ والمعنى؛ ولهذا سمى المسلمون ابن عباس ترجمان القرآن، وهو يترجم اللفظ .." [1]

"ص -١٩٣- حينئذ أن قصده نداء الشخص المسمى،وهذا من فائدة **اللغات** وقد يدعى بالإشارة،وليست الحركة هي ذاته،ولكن هي دليل على ذاته .

وأما قوله : ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٧٨] ، ففيها قراءتان : الأكثرون يقرؤون : ﴿ ذي الجلال ﴾ فالرب المسمى : هو ذو الجلال والإكرام .

وقرأ ابن عامر : ﴿ ذو الجلال والإكرام ﴾ ، وكذلك هي في المصحف الشامي؛ وفي مصاحف أهل الحجاز والعراق هي بالياء .

وأما قوله : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، فهي بالواو باتفاقهم، قال ابن الأنباري وغيره : ﴿ تبارك ﴾ تفاعل من البركة، والمعنى : أن البركة تكتسب وتنال بذكر اسمه، فلو كان لفظ الاسم معناه المسمى، لكان يكفي قوله : [تبارك ربك] فإن نفس الاسم عندهم هو نفس الرب، فكان هذا تكريرا .

وقد قال بعض الناس : إن ذكر الاسم هنا صلة، والمراد : تبارك ربك، ليس المراد الإخبار عن اسمه بأنه تبارك، وهذا غلط، فإنه على هذا يكون قول المصلى : تبارك اسمك أي : تباركت أنت، و نفس أسماء الرب لا بركة فيها . ومعلوم أن نفس أسمائه مباركة وبركتها من جهة دلالتها على المسمى .

ولهذا فرقت الشريعة بين ما يذكر اسم الله عليه، وما لا يذكر اسم الله عليه في مثل قوله : ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ [الأنعام : ١١٨] ، وقوله : ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام : ١١٩] ، وقوله : ﴿ واذكروا اسم الله ﴾ [المائدة : ٤] ، وقول النبي." [2]

"ص -٣٦١- تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصا قاطعا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرا فلابد من الترجيح .

الرابع : أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته،فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم، دون عمل الجوارح، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورا وهدى، وبيانا للناس،

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٨٦

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٩١

وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل ليبين للناس ما نزل إليهم، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح **اللغات** وأبين الألسنة والعبارات، ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما، وأنصحهم للأمة، وأبينهم للسنة، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره، إما أن يكون عقليا ظاهرا، مثل قوله : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ [النمل : ٢٣] ، فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد : أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها، وكذلك : ﴿ خالق كل شيء ﴾ [الأنعام : ١٠٢] يعلم المستمع : أن الخالق لا يدخل في هذا العموم، أو سمعيا ظاهرا، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر .

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي، لا يستنبطه إلا أفراد الناس، سواء كان سمعيا أو عقليا؛ لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات." (١)

"ص -٩٠- إسحاق الإسفراييني . وقال المنازعون له : النزاع معه لفظي فإنه إذا سلم أن في اللغة لفظا مستعملا في غير ما وضع له لا يدل على معناه إلا بقرينة، فهذا هو المجاز وإن لم يسمه مجازا . فيقول من ينصره : إن الذين قسموا اللفظ : حقيقة و مجازا قالوا : [الحقيقة] هو اللفظ المستعمل فيما وضع له . [والمجاز] هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كلفظ الأسد والحمار إذا أريد بهما البهيمة أو أريد بهما الشجاع والبليد .

وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولا لمعنى ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه وقد يستعمل في غير موضوعه، ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز فلا بد له من حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز ؟ فاعترض عليهم بعض متأخريهم وقال : اللفظ الموضوع قبل الاستعمال لا حقيقة ولا مجاز فإذا استعمل في غير موضوعه فهو مجاز لا حقيقة له .

وهذا كله إنما يصح لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان ثم بعد ذلك استعملت فيها، فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال . وهذا إنما صح على قول من يجعل **اللغات** اصطلاحية فيدعي أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا ويجعل هذا عاما في جميع **اللغات** .

وهذا القول لا نعرف أحدا من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجبائي، فإنه وأبا الحسن الأشعري كلاهما

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٩٨

قرأ على أبي علي الجبائي لكن الأشعري رجع عن مذهب المعتزلة وخالفهم في القدر والوعيد وفي الأسماء والأحكام وفي." (١)

"ص -٩١- صفات الله تعالى وبين من تناقضهم وفساد قولهم ما هو معروف عنه . فتنازع الأشعري وأبو هاشم في مبدأ **اللغات**، فقال أبو هاشم : هي اصطلاحية وقال الأشعري : هي توقيفية . ثم خاض الناس بعدهما في هذه المسألة، فقال آخرون : بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي وقال فريق رابع بالوقف . المقصود هنا أنه لا يمكن أحدا أن ينقل عن العرب بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني فإن ادعى مدع أنه يعلم وضعا يتقدم ذلك فهو مبطل فإن هذا لم ينقله أحد من الناس .

ولا يقال : نحن نعلم ذلك بالدليل، فإنه إن لم يكن اصطلاح متقدم لم يمكن الاستعمال . قيل : ليس الأمر كذلك، بل نحن نجد أن الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض وقد سمي ذلك منطقا وقولا في قول سليمان : ﴿ علمنا منطق الطير ﴾ [النمل : ١٦] . وفي قوله : ﴿ قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ [النمل : ١٨] وفي قوله : ﴿ يا جبال أوبي معه والطير ﴾ [سبأ : ١٠] .

وكذلك الآدميون، فالمولود إذا ظهر منه التمييز سمع أبويه أو من يربيه ينطق باللفظ ويشير إلى المعنى فصار يفهم أن ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى أي : أراد المتكلم به ذلك المعنى ثم هذا يسمع لفظا بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم من غير أن يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم، بل ولا أوقفوه على معاني الأسماء." (٢)

"ص -٩٢- وإن كان أحيانا قد يسأل عن مسمى بعض الأشياء فيوقف عليها كما يترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني ألفاظها وإن باشر أهلها مدة علم ذلك بدون توقيف من أحدهم .

نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث مما لم يكن من قبلهم يعرفه فيسميه كما يولد لأحدهم ولد فيسميه اسما إما منقولا وإما مرتجلا وقد يكون المسمى واحدا لم يصطلح مع غيره وقد يستوون فيما يسمونه .

وكذلك قد يحدث للرجل آلة من صناعة أو يصنف كتابا أو يبني مدينة ونحو ذلك فيسمي ذلك باسم لأنه

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٢/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ١٠٣/١١١

ليس من الأجناس المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة . وقد قال الله : ﴿ الرحمن ﴾ [الرحمن : ١] ﴿ علم القرآن ﴾ [الرحمن : ٢] ﴿ خلق الإنسان ﴾ [الرحمن : ٣] ﴿ علمه البيان ﴾ [الرحمن : ٤] . و ﴿ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ [فصلت : ٢١] . وقال : ﴿ الذي خلق فسوى ﴾ [الأعلى : ٢] ﴿ والذي قدر فهدى ﴾ [الأعلى : 3] . فهو سبحانه يلهم الإنسان المنطق كما يلهم غيره .

وهو سبحانه إذا كان قد علم آدم الأسماء كلها وعرض المسميات على الملائكة كما أخبر بذلك في كتابه فنحن نعلم أنه لم يعلم آدم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس إلى يوم القيامة وأن تلك اللغات اتصلت إلى أولاده فلا يتكلمون إلا بها فإن دعوى هذا كذب ظاهر فإن آدم عليه السلام إنما ينقل عنه بنوه وقد أغرق الله عام الطوفان جميع ذريته إلا من في السفينة وأهل السفينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح ولم يكونوا يتكلمون بجميع ما تكلمت به الأمم بعدهم .

فإن [اللغة الواحدة] كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والأنواع ما لا يحصيه إلا الله ، والعرب أنفسهم." (١)

"ص -٩٣- لكل قوم لغات لا يفهمها غيرهم فكيف يتصور أن ينقل هذا جميعه عن أولئك الذين كانوا في السفينة وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل وإنما النسل لنوح وجميع الناس من أولاده وهم ثلاثة : سام وحام ويافث كما قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ . فلم يجعل باقيا إلا ذريته وكما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم : [أن أولاده ثلاثة] . رواه أحمد وغيره .

ومعلوم أن الثلاثة لا يمكن أن ينطقوا بهذا كله ويمتنع نقل ذلك عنهم، فإن الذين يعرفون هذه اللغة لا يعرفون هذه ، وإذا كان الناقل ثلاثة، فهم قد علموا أولادهم ، وأولادهم علموا أولادهم ، ولو كان كذلك لاتصلت .

ونحن نجد بني الأب الواحد يتكلم كل قبيلة منهم بلغة لا تعرفها الأخرى والأب واحد ، لا يقال : إنه علم أحد ابنيه لغة وابنه الآخر لغة، فإن الأب قد لا يكون له إلا ابنان واللغات في أولاده أضعاف ذلك .

والذي أجرى الله عليه عادة بني آدم أنهم إنما يعلمون أولادهم لغتهم التي يخاطبونهم بها، أو يخاطبهم بها غيرهم فأما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها أولادهم .

وأيضا فإنه يوجد بنو آدم يتكلمون بألفاظ ما سمعوها قط من غيرهم . والعلماء من المفسرين وغيرهم لهم

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٤/١١١

في الأسماء التي علمها الله آدم قولان معروفان عن السلف .
[أحدهما] : أنه إنما علمه أسماء من يعقل واحتجوا بقوله : ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ [البقرة : ٣١] . قالوا : وهذا الضمير لا يكون إلا لمن يعقل ، وما لا يعقل يقال." (١)

"ص –٩٥– ومما يدل على أن هذه **اللغات** ليست متلقاة عن آدم، أن أكثر **اللغات** ناقصة عن اللغة العربية ليس عندهم أسماء خاصة للأولاد والبيوت والأصوات وغير ذلك مما يضاف إلى الحيوان، بل إنما ستعملون في ذلك الإضافة .

فلو كان آدم عليه السلام علمها الجميع لعلمها متناسبة ، وأيضا فكل أمة ليس لها كتاب ليس في لغتها أيام الأسبوع ، وإنما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة؛ لأن ذلك عرف بالحس والعقل، فوضعت له الأمم الأسماء، لأن التعبير يتبع التصور .

وأما الأسبوع فلم يعرف إلا بالسمع ، لم يعرف أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش إلا بأخبار الأنبياء الذين شرع لهم أن يجتمعوا في الأسبوع يوما يعبدون الله فيه ويحفظون به الأسبوع الأول الذي بدأ الله فيه خلق هذا العالم، ففي لغة العرب والعبرانيين ، ومن تلقى عنهم ، أيام الأسبوع، بخلاف الترك ونحوهم، فإنه ليس في لغتهم أيام الأسبوع لأنهم لم يعرفوا ذلك فلم يعبروا عنه .

فعلم أن الله ألهم النوع الإنساني أن يعبر عما يريده ويتصوره بلفظه وأن أول من علم ذلك أبوهم آدم وهم علموا كما علم وإن اختلفت **اللغات** .

وقد أوحى الله إلى موسى بالعبرانية وإلى محمد بالعربية، والجميع كلام الله ، وقد بين الله بذلك ما أراد من خلقه وأمره ، وإن كانت هذه اللغة ليست الأخرى ، مع أن العبرانية من أقرب **اللغات** إلى العربية حتى إنها أقرب إليها من لغة بعض العجم إلى بعض .

فبالجملة نحن ليس غرضنا إقامة الدليل على عدم ذلك، بل يكفينا أن يقال :." (٢)

"ص –٩٦– هذا غير معلوم وجوده بل الإلهام كاف في النطق **باللغات** من غير مواضعة متقدمة، وإذا سمى هذا توقيفا، فليسم توقيفا وحينئذ فمن ادعى وضعا متقدما على استعمال جميع الأجناس، فقد قال ما لا علم له به . وإنما المعلوم بلا ريب هو الاستعمال .

ثم هؤلاء يقولون تتميز الحقيقة من المجاز بالاكتفاء باللفظ فإذا دل اللفظ بمجرده فهو حقيقة وإذا لم يدل

---

(١) مجموع الفتاوى ١١١/١٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ١١١/١٠٧

إلا مع القرينة فهو مجاز وهذا أمر متعلق باستعمال اللفظ في المعنى لا بوضع متقدم .
ثم يقال ثانيا : هذا التقسيم لا حقيقة له وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا فعلم أن هذا التقسيم باطل وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول بل يتكلم بلا علم فهم مبتدعة في الشرع مخالفون للعقل وذلك أنهم قالوا : الحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له و المجاز هو المستعمل في غير ما وضع له احتاجوا إلى إثبات الوضع السابق على الاستعمال وهذا يتعذر ثم يقسمون الحقيقة إلى لغوية وعرفية وأكثرهم يقسمها إلى ثلاث لغوية وشرعية وعرفية .
فالحقيقة العرفية هي ما صار اللفظ دالا فيها على المعنى بالعرف لا باللغة، وذلك المعنى يكون تارة أعم من اللغوي وتارة أخص وتارة يكون مباينا له لكن بينهما علاقة استعمل لأجلها .
فالأول مثل لفظ الرقبة و الرأس ونحوهما كان يستعمل في العضو المخصوص ثم صار يستعمل في جميع البدن .
والثاني مثل لفظ الدابة ونحوها كان يستعمل في كل ما دب ثم صار." (١)
"ص -٥٧٦- الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت " ، فلما أفرده عن اسم الإسلام ذكر ما يخصه الاسم في ذاك الحديث مجردا عن الاقتران . وفي هذا الحديث مقرون باسم الإسلام، وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران : ٨٥] دخل فيه الباطن، فلو أتى بالعمل الظاهر دون الباطن لم يكن ممن أتى بالدين الذي هو عند الله الإسلام .
وأما إذا قرن الإسلام بالإيمان، كما في قوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] ، وقوله : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ [الذاريات : ٣٥، ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ [الأحزاب : ٣٥] فقد يراد بالإسلام الأعمال الظاهرة كما في حديث أنس الذي في [المسند] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الإسلام علانية، والإيمان في القلب " ، ومن علم أن دلالة اللفظ تختلف بالإفراد والاقتران، كما في اسم الفقير والمسكين، والمعروف والمنكر والبغي وغير ذلك من الأسماء، وكما في **لغات** سائر الأمم عربها وعجمها زاحت عنه الشبهة في هذا الباب والله أعلم .
فإن قال قائل : اسم الإيمان إنما يتناول الأعمال مجازا . قيل أولا : ليس هذا بأولى ممن قال : إنما تخرج

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٨/١١١

عنه الأعمال مجازا، بل هذا أقوى، لأن خروج العمل عنه إنما هو إذا كان مقرونا باسم الإسلام والعمل، وأما دخول العمل فيه فإذا أفرد كما في قوله صلى الله عليه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون شعبة." [(١)]

"ص -٦٣- إدراكا للفروق، وتمييزا للمشتركات . وذلك يوجد في عقولهم **ولغاتهم** وعلومهم وأحكامهم؛ ولهذا لما ناظر متكلمو الإسلام العرب هؤلاء المتكلمة الصابئة عجم الروم، وذكروا فضل منطقهم وكلامهم على منطق أولئك وكلامهم ظهر رجحان كلام الإسلاميين، كما فعله القاضي أبو بكر بن الباقلاني في كتاب [الدقائق] الذي رد فيه على الفلاسفة كثيرا من مذاهبهم الفاسدة في الأفلاك والنجوم، والعقول والنفوس، وواجب الوجود وغير ذلك . وتكلم على منطقهم وتقسيمهم الموجودات، كتقسيمهم الموجود إلى الجوهر والعرض، ثم تقسيم الأعراض إلى المقولات التسعة، وذكر تقسيم متكلمة المسلمين الذي فيه من التمييز والجمع والفرق ما ليس في كلام أولئك .

وذلك أن الله علم الإنسان البيان، كما قال تعالى : ﴿ الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان ﴾ [الرحمن : ١-٤] ، وقال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] ، وقال : ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [العلق : ٥] ، والبيان : بيان القلب واللسان، كما أن العمى والبكم يكون في القلب واللسان، كما قال تعالى : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾ [البقرة : ١٨] ، وقال : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ [البقرة : ١٧١] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " هلا سألوا إذا لم يعلموا ؛ إنما شفاء العي السؤال " ، وفي الأثر : العي عي القلب لا عي اللسان . أو قال : شر العي عي القلب، وكان ابن مسعود يقول : إنكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه .." [(٢)]

"ص -١٧١- لحظوا صفات ثابتة في العلة والدليل، وهو وصف التمام أو مجرد الاقتضاء، فكان ما اعتبره أولئك أولى بالحق والعقل مما اعتبره هؤلاء، الذين لم يرجعوا إلا إلى مجرد التحكم .

ولهذا كان العقلاء العارفون يصفون منطقهم بأنه أمر اصطلاحي، وضعه رجل من اليونان، لا يحتاج إليه العقلاء، ولا طلب العقلاء للعلم موقوفا عليه كما ليس موقوفا على التعبير **بلغاتهم**، مثل : فيلاسوفيا، وسوفسطيقا، وأنولوطيقا وآثولوجيا، وقاطيغورياس، ونحو ذلك من **لغاتهم** التي يعبرون بها عن معانيهم فلا يقول أحد : إن سائر العقلاء محتاجون إلى هذه اللغة . لا سيما من كرمه الله بأشرف **اللغات** الجامعة

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٢٤

(٢) مجموع الفتاوى ١٤٧/٦٣

لأكمل مراتب البيان المبينة لما تتصوره الأذهان بأوجز لفظ وأكمل تعريف .

وهذا مما احتج به أبو سعيد السيرافي في مناظرته المشهورة ل [متى] الفيلسوف؛ لما أخذ [متى] يمدح المنطق، ويزعم احتياج العقلاء إليه، ورد عليه أبو سعيد بعدم الحاجة إليه، وأن الحاجة إنما تدعو إلى تعلم العربية؛ لأن المعاني فطرية عقلية لا تحتاج إلى اصطلاح خاص بخلاف اللغة المتقدمة التي يحتاج إليها في معرفة ما يجب معرفته من المعاني، فإنه لابد فيها من التعلم، ولهذا كان تعلم العربية التي يتوقف فهم القرآن والحديث عليها فرضا على الكفاية بخلاف المنطق .." (١)

"ص –٥٦١– وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي [حقائق التفسير] من هذا قطعة .

وليس المقصود الآن الكلام في هذا فإنه باب آخر، وإنما الغرض بيان حكم ذكر الاسم وحده من غير كلام تام، وقد ظهر بالأدلة الشرعية أنه غير مستحب .

وكذلك بالأدلة العقلية الذوقية؛ فإن الاسم وحده لا يعطي إيمانا ولا كفرا، ولاهدى ولا ضلالا، ولا علما ولا جهلا، وقد يذكر الذاكر اسم نبي من الأنبياء، أو فرعون من الفراعنة، أو صنم من الأصنام، ولا يتعلق بمجرد اسمه حكم إلا أن يقرن به ما يدل على نفي أو إثبات، أو حب أو بغض، وقد يذكر الموجود والمعدوم .

ولهذا اتفق أهل العلم بلغة العرب وسائر **اللغات** على أن الاسم وحده لا يحسن السكوت عليه، ولا هو جملة تامة، ولا كلاما مفيدا ولهذا سمع بعض العرب مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله . قال : فعل ماذا ؟ ! فإنه لما نصب الاسم صار صفة، والصفة من تمام الاسم الموصوف، فطلب بصحة طبعه الخبر المفيد؛ ولكن المؤذن قصد الخبر ولحن .." (٢)

"ص –٥٥– طوائف المسلمين، بل الأئمة الأربعة وجمهور أصحابهم بريئون من ذلك . ومن قال : إن الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين، فقد ابتدع قولا باطلا في الشرع والعقل .

ومن قال : إن جنس الحروف التي تكلم الله بها بالقرآن وغيره ليست مخلوقة، وأن الكلام العربي الذي تكلم به ليس مخلوقا، والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة له، وقد تكلم الله بها فلا تكون مخلوقة فقد أصاب .

وإذا قال : إن الله هدى عباده وعلمهم البيان، فأنطقهم بها **باللغات** المختلفة، وأنعم عليهم بأن جعلهم ينطقون بالحروف التي هي مباني كتبه وكلامه وأسمائه فهذا قد أصاب، فالإنسان وجميع ما يقوم به من

---

(١) مجموع الفتاوى ٩١/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/١٦٦

الأصوات والحركات وغيرها مخلوق كائن بعد أن لم يكن، والرب تعالى بما يقوم به من صفاته وكلماته وأفعاله غير مخلوق، والعباد إذا قرؤوا كلامه فإن كلامه الذي يقرءونه هو كلامه لا كلام غيره، وكلامه الذي تكلم به لا يكون مخلوقا، وكان ما يقرءون به كلامه من حركاتهم وأصواتهم مخلوقا، وكذلك ما يكتب في المصاحف من كلامه فهو كلامه مكتوبا في المصاحف وكلامه غير مخلوق، والمداد الذي يكتب به كلامه وغير كلامه مخلوق .." (١)

"ص -٤٤٦- الكتب المنزلة بهذه الحروف، كما كانت العرب تنطق بهذه الحروف والأسماء قبل نزول القرآن، والله تعالى أنزله بلسانهم الذي كانوا يتكلمون به قبل نزول القرآن .

المقام الثاني : أنه لو لم يكن أحد نطق بها إلا مستفيدا لها من كلام الله، لكن إذا أنشأ بها كلاما لنفسه ولم يقصد بها قراءة كلام الله لم تكن في هذه الحال من كلام الله، كما لو فعل ذلك في بعض الجمل المركبة وأولى . ويدل على ذلك الأحكام الشرعية .

قال الآخرون القائلون بأن حروف المعجم غير مخلوقة مطلقا : لنا في الأسماء الموجودة في غير القرآن قولان . منهم من يقول بأن جميع الأسماء غير مخلوقة، كما يقول ذلك في الحروف . ومنهم من لا يقول ذلك . وقد حكى القولين ابن حامد وغيره عمن ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد وغيره من القائلين بأن حروف المعجم غير مخلوقة، فمن عمم ذلك استدل بقوله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ١3] . وهذه الحجة مبنية على مقدمتين :

إحداهما : أن مبدأ اللغات توقيفية، وأن المراد بالتوقيف خطاب الله بها،لا تعريفه بعلم ضروري، وهذا الموضع قد تنازع فيه الناس من أصحاب الإمام أحمد وسائر الفقهاء، وأهل الحديث والأصول .." (٢)

"ص -٤٥٣- أن [اللغات توقيفية] كقول كثير من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم كأبي بكر عبد العزيز، وأبي محمد المقدسي، وهو قول الأشعري، وابن فورك وغيرهما .

لكن التوقيف، هل المراد به التكليم، أو التعريف، أو كلاهما ؟ هذا فيه نزاع أيضا، كما تقدم . فالذين قالوا : إنها غير مخلوقة، يقولون : إنها توقيفية، وإن التعليم هو بالخطاب، فيكون الله قد تكلم بالأسماء كلها، وكلام الله غير مخلوق . قال هؤلاء الجهال الضالون : وكلام الآدميين ليس إلا ما يأتلف من الحروف والأسماء وتلك غير مخلوقة، فهذا أيضا غير مخلوق . فبنوا قولهم على أن حروف المعجم غير مخلوقة،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٢٩/٢١١

وأن الأسماء المؤلفة من الحروف غير مخلوقة، واعتقدوا مع ذلك أن كلام الآدميين ليس إلا ما يأتلف من الأسماء والحروف وتلك غير مخلوقة، فقالوا : كلام الآدميين غير مخلوق؛ لأن مفرداته غير مخلوقة . وإذا ضويقوا . فقد يقولون : النظم والتأليف مخلوق، وأما نفس المنظوم المؤلف فهو قديم، ثم يحسبون أن المواد المنظومة المؤلفة هي أدخل في الكلام من نفس التأليف والنظم، كما أن أجزاء البيت هي أدخل في مسماه من تأليفه وإن كان البيت اسما للأجزاء ولتأليفها .." (١)

"ص –٤٥٨– وإذا كان كذلك، فالمتكلم بالكلام المبتدئ له، سواء كان نظما أو نثرا، لا ريب أنه هو الذي ألف معانيه وألف ألفاظه، وأما مفردات [الأسماء والحروف] فلا ريب أنه تعلمها من غيره، سواء كانت مخلوقة أو غير مخلوقة؛ فإن **اللغات** سابقة لكلام عامة المتكلمين، ونطق الناطقين من البشر، وهم تلقوا الأسماء، وحروف الأسماء الموجودة في **لغاتهم** عمن قبلهم إلى أن ينتهي الأمر إلى أول متكلم بتلك الأسماء المفردة .

ثم إنه مما علم بالاضطرار واتفق عليه أهل الأرض جميعهم : أن الكلام هو كلام من ألف معانيه وألفاظه، وإن كان جميع ما فيه من الأسماء والحروف إنما تعلمها من غيره، فالناس مطبقون على أن هذه القصائد كلام منشئيها، مثل شعر امرئ القيس، والنابغة الذبياني، كقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فجميع الأمم يعلمون ويقولون : إن هذا شعر امرئ القيس وكلامه، وإن كانت الأسماء المفردة فيه إنما تعلمه، من غيره؛ فإن العرب نطقت قبله بلفظ [قفا] وبلفظ [نبك] وبلفظ [من ذكرى] [حبيب] [ومنزل] .

وجميع المسلمين إذا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما." (٢)

"ص –٥٢٧– والصنف الثاني : سلموا لهم أن الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت، ومنعوهم المقدمة الثانية، وهو أن الحرف والصوت لا يكون إلا محدثا .

وصنف قالوا : إن المحدث كالحادث، سواء كان قائما بنفسه أو بغيره، وهو يتكلم بكلام لا يكون قديما، وهو بحرف وصوت، وهذا قول من يقول : القرآن قديم، وهو بحرف وصوت، كأبي الحسن بن سالم وأتباعه السالمية وطوائف ممن اتبعه، وقال هؤلاء في الحرف والصوت نظير ما قاله الذين قبلهم في المعاني .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣٦/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ١٤١/٢١١

وقالوا : كلام لا بحرف ولا صوت لا يعقل، ومعنى يكون أمرا ونهيا وخبرا ممتنع في صريح العقل، ومن ادعى أن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد، وإنما اختلفت العبارات الدالة عليه فقوله معلوم الفساد بالاضطرار عقلا وشرعا، وإخراج الحروف عن مسمى الكلام مما يعلم فساده بالاضطرار من جميع **اللغات**، وإن جاز أن يقال : إن الحروف والأصوات المخلوقة في غير كلام الله حقيقة، أمكن حينئذ أن يكون كلم موسى بكلام مخلوق في غيره .

وقالوا لإخوانهم الأولين : إذا قلتم : إن الكلام هو مجرد المعنى،." [1]

"ص -٥٢٨- وقد خلق عبارة بيان . . . فإن قلتم : إن تلك العبارة كلامه حقيقة، بطلت حجتكم على المعتزلة؛ فإن أعظم حجتكم عليهم قولكم : إنه يمتنع أن يكون متكلما بكلام يخلقه في غيره، كما يمتنع أن يعلم بعلم قائم بغيره، وأن يقدر بقدرة قائمة بغيره، وأن يريد بإرادة قائمة بغيره، وإن قلتم : هي كلام مجازا، لزم أن يكون الكلام حقيقة في المعنى مجازا في اللفظ، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من جميع **اللغات** .

والصنف الثالث : الذين لم يمنعوا المقدمتين، ولكن استفسروهم وبينوا أن هذا لا يستلزم صحة قولكم، بل قالوا : إن قلتم : إن الحرف والصوت محدث بمعنى أنه يجب أن يكون مخلوقا منه منفصلا عنه، فهذا دليل على فساد قولكم وتناقضه، وهذا قول ممنوع، وإن قلتم : بمعنى أنه لا يكون قديما، فهو مسلم، لكن هذه التسمية محدثة .

وهؤلاء صنفان : صنف قالوا : إن المحدث هو المخلوق المنفصل عنه، فإذا قلنا : الحرف والصوت لا يكون إلا محدثا، كان بمنزلة قولنا : لا يكون إلا مخلوقا، وحينئذ فيكون هذا المعتزلي أبطل قوله." [2]

"ص -٢٧٩-

يتولد عنها العلم والكلام كما يتولد ذلك عن نفس الرجل العالم منها، فيتولد من ذاته العلم والحكمة والكلام؛ فلهذا سميت الكلمة ابنا، قيل : هذا باطل من وجوه :

أحدها : أن صفاتنا حادثة تحدث بسبب تعلمنا ونظرنا وفكرنا واستدلالنا، وأما كلمة الرب وعلمه، فهو قديم لازم لذاته، فيمتنع أن يوصف بالتولد، إلا أن يدعي المدعي أن كل صفة لازمة لموصوفها متولدة عنه، وهي ابن له، ومعلوم أن هذا من أبطل الأمور في العقول **واللغات**؛ فإن حياة الإنسان ونطقه وغير ذلك من

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٢١٣

(٢) مجموع الفتاوى ٧/٢١٣

صفاته اللازمة له لا يقال : إنها متولدة عنه، وإنها ابن له . وأيضا فيلزم أن تكون حياة الرب أيضا ابنه ومتولدة، وكذلك قدرته؛ وإلا فما الفرق بين تولد العلم وتولد الحياة والقدرة وغير ذلك من الصفات ؟ !

وثانيها : أن هذا إن كان من باب تولد الجواهر والأعيان القائمة بنفسها؛ فلابد له من أصلين، ولابد أن يخرج من الأصل جزء . وأما علمنا وقولنا، فليس عينا قائما بنفسه، وإن كان صفة قائمة بموصوف، وعرضا قائما في محل كعلمنا وكلامنا، فذاك أيضا لا يتولد إلا عن أصلين، ولابد له من محل يتولد فيه . والواحد منا لا يحدث له العلم والكلام إلا بمقدمات تتقدم على ذلك، وتكون أصولا للفروع، ويحصل العلم والكلام في محل لم يكن حاصلا فيه قبل ذلك .." (١)

"ص -٢٨٠- فإن قلتم : إن علم الرب كذلك، لزم أن يصير عالما بالأشياء بعد أن لم يكن عالما بها، وأن تصير ذاته متكلمة بعد أن لم يكن متكلما . وهذا مع أنه كفر عند جماهير الأمم من المسلمين والنصارى وغيرهم فهو باطل في صريح العقل؛ فإن الذات التي لا تكون عالمة يمتنع أن تجعل نفسها عالمة بلا أحد يعلمها، والله تعالى يمتنع عليه أن يكون متعلما من خلقه، وكذلك الذات التي تكون عاجزة عن الكلام، يمتنع أن تصير قادرة عليه بلا أحد يجعلها قادرة، والواحد منها لا يولد جميع علومه، بل ثم علوم خلقت فيه لا يستطيع دفعها، فإذا نظر فيها حصلت له علوم أخرى، فلا يقول أحد من بني آدم : إن الإنسان يولد علومه كلها، ولا يقول أحد : إنه يجعل نفسه متكلمة بعد أن لم تكن متكلمة، بل الذي يقدره على النطق هو الذي أنطق كل شيء .

فإن قالوا : إن الرب يولد بعض علمه، وبعض كلامه دون بعض، بطل تسمية العلم الذي هو الكلمة مطلقا الابن وصار لفظ الابن إنما يسمي به بعض علمه، أو بعض كلامه، وهم يدعون أن المسيح هو الكلمة، وهو أقنوم العلم مطلقا، وذلك ليس متولدا عنه كله، ولا يسمي كله ابنا باتفاق العقلاء .

وثالثها : أن يقال : تسمية علم العالم وكلامه ولدا له لا يعرف في شيء من اللغات المشهورة، وهو باطل بالعقل؛ فإن علمه وكلامه كقدرته وعلمه، فإن." (٢)

"ص -٣٦١- يعلى في آخر قوليه، وأبي محمد أثبتوا العلو، وجعلوا الاستواء من الصفات الخبرية التي يقولون : لا يعلم معناها إلا الله . وإن كانوا ممن يرى أن الفوقية والعلو أيضا من الصفات الخبرية، كقول القاضي أبي بكر، وأكثر الأشعرية، وقول القاضي أبي يعلى في أول قوليه، وابن عقيل في كثير من

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨٣/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨٤/٢٣٨

كلامه، وأبي بكر البيهقي، وأبي المعالي وغيرهم ومن سلك مسلك أولئك . وهذه الأمور مبسوطة في موضعها .

والمقصود هنا أن كل طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن، يجعلون تلك النصوص من المتشابه، ثم إن كانوا ممن يرى الوقف عند قوله : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، قالوا : لا يعلم معناها إلا الله، فيلزم ألا يكون محمد وجبريل ولا أحد علم معاني تلك الآيات والأخبار، وإن رأوا أن الوقف على قوله : ﴿والراسخون في العلم ﴾ [آل عمران : ٧] ، جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا . ويقولون : إن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة الحق من غير جهته بعقولهم وأذهانهم، ويجتهدون في تخريج ألفاظه على **اللغات** العربية، فيجتهدون في معرفة غرائب **اللغات** التي يتمكنون بها من التأويل . وهذا إن قالوا : إنه قصد بالقرآن والحديث معنى حقا في نفس الأمر، وإن قالوا بقول الفلاسفة والباطنية الذين لا يرون التأويل، قالوا : لم يقصد بهذه الألفاظ إلا ما يفهمه العامة." (١)

"ص -٢٥٣- كتب كاتب مصحفا ثم نسخ سائر الناس منه من غير اعتبار للأول والثاني، أمكن وقوع الغلط في هذا، وهنا كل مصحف إنما كتبه جماعة ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم، ولو قدر أن الصحيفة كان فيها لحن فقد كتب منها جماعة لا يكتبون إلا بلسان قريش، ولم يكن لحنا، فامتنعوا أن يكتبوه إلا بلسان قريش، فكيف يتفقون كلهم على أن يكتبوا : إن هذان ، وهم يعلمون أن ذلك لحن لا يجوز في شيء من **لغاتهم**، أو : ﴿ والمقيمين الصلاة﴾ ، وهم يعلمون أن ذلك لحن، كما زعم بعضهم

قال الزجاج في قوله: ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾: قول من قال : إنه خطأ بعيد جدا، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والقدوة، فكيف يتركون شيئا يصلحه غيرهم، فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم، وقال ابن الأنباري : حديث عثمان لا يصح؛ لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده

قلت : ومما يبين كذب ذلك : أن عثمان لو قدر ذلك فيه، فإنما رأي ذلك في نسخة واحدة، فإما أن تكون جميع المصاحف اتفقت على الغلط، وعثمان قد رآه في جميعها وسكت؛ فهذا ممتنع عادة وشرعا

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٦٧/٢٣٨

من الذين كتبوا، ومن عثمان، ثم من المسلمين الذين وصلت إليهم المصاحف ورأوا ما فيها، وهم يحفظون القرآن، ويعلمون أن فيه لحنا." [١]

"

وأما أهل التحريف والتأويل فهم الذين يقولون إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال إلا ما هو الحق في نفس الأمر وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات التي يحتاجون فيها إلى إخراج **اللغات** عن طريقتها المعروفة وإلى الإستعانة بغرائب المجازات والإستعارات

وهم في أكثر ما يتأولونه قد يعلم عقلاؤهم علما يقينا أن الأنبياء لم يريدوا بقولهم ما حملوه عليه وهؤلاء كثيرا ما يجعلون التأويل من باب دفع المعارض فيقصدون حمل اللفظ على ما يمكن أن يريده متكلم بلفظه لا يقصدون طلب مراد المتكلم به وحمله على ما يناسب حاله وكل تأويل لا يقصد به صاحبه بيان مراد المتكلم وتفسير كلامه بما يعرف به مراده وعلى الوجه الذي به يعرف مراده فصاحبه كاذب على من تأول كلامه ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون يجوز أن يراد كذا وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ

وأما كون النبي المعين يجوز أن يريد ذلك المعنى بذلك اللفظ فغالبه يكون الأمر فيه بالعكس ويعلم من سياق الكلام وحال المتكلم امتناع إرادته لذلك المعنى بذلك الخطاب المعين

." [٢]

"ويسمى كل متكلم ومتحرك متغيرا فهذا مما يتعذر عليه إقامة الدليل فيه على دعواه

وأما استدلالهم بما في القرآن من تسمية الله أحدا وواحدا على نفي الصفات الذي بنوه على نفي التجسيم

فيقال لهم ليس في كلام العرب بل ولا عامة أهل **اللغات** أن الذات الموصوفة بالصفات لا تسمى واحدا ولا تسمى أحدا في النفي والإثبات بل المنقول وبالتواتر عن العرب تسمية الموصوف بالصفات واحدا وأحدا حيث أطلقوا ذلك ووحيدا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/٢٥٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٢/١

قال تعالى ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ سورة المدثر ١١ وهو الوليد ابن المغيرة

وقال تعالى ﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ سورة النساء ١١ فسماها واحدة وهي امرأة واحدة متصفة بالصفات بل جسم حامل للأعراض

وقال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ سورة التوبة ٦

وقال تعالى ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره ﴾ سورة القصص ٢٦ وقال تعالى ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ سورة البقرة ٢٨٢ وقال تعالى ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى ﴾ سورة الحجرات ٩

". (١)

"والمعتزلة ومن اتبعهم بحدوث العالم وقد يحكونه عن أهل الملل وهو بهذا المعنى لا يوجد لا في القرآن ولا غيره من كتب الأنبياء لا التوراة ولا غيرها ولا في حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف هذا عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

والمعنى الثالث الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا وأمثاله قالوا نقول العالم محدث أي معلول لعلة قديمة أزلية أوجبته فلم يزل معها وسموا هذا الحدوث الذاتي وغيره الحدوث الزماني

والتعبير بلفظ الحدوث عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل **اللغات** لا العرب ولا غيرهم إلا من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى والقول بأن العالم محدث بهذا المعنى فقط ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم ولا أمة من الأمم العظيمة ولا طائفة من الطوائف المشهورة التي اشتهرت مقالاتها في عموم الناس بحيث كان أهل مدينة على هذا القول وإنما يقول هذا طوائف قليلة مغمورة في الناس

وهذا القول إنما هو معروف عن طائفة من المتفلسفة المليين كابن سينا وأمثاله وقد يحكون هذا القول عن أرسطو وقوله الذي في كتبه أن العالم قديم وجمهور الفلاسفة قبله يخالفونه ويقولون إنه محدث ولم يثبت في كتبه للعالم فاعلا موجبا له بذاته وإنما أثبت له علة يتحرك للتشبه بها ثم جاء الذين

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١١٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/١٢٦

"قائم بنفسه فهو العاقل فإذا كان يعقل نفسه أو غيره فليس عين عقله لنفسه أو غيره هو عين ذاته وكذلك إذا سمى عاشقا ومعشوقا بلغتهم أو قيل محبوب ومحب بلغة المسلمين فليس الحب والعشق هو نفس العاشق ولا المحب ولا العشق ولا الحب هو المعشوق ولا المحبوب بل التمييز بين مسمى المصدر ومسمى اسم الفاعل واسم المفعول والتفريق بين الصفة والموصوف مستقر في فطر العقول **ولغات** الأمم فمن جعل أحدهما هو الآخر كان قد أتى من السفسطة بما لا يخفى على من يتصور ما يقول ولهذا كان منتهى هؤلاء السفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات

الوجه الثالث أن يقال الوجود المطلق بشرط الإطلاق أو بشرط سلب الأمور الثبوتية أولا بشرط مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج وإنما يوجد في الذهن وهذا مما قرروه في منطقهم اليوناني وبينوا أن المطلق بشرط الإطلاق كإنسان مطلق بشرط الإطلاق وحيوان مطلق بشرط الإطلاق وجسم مطلق بشرط الإطلاق ووجود مطلق بشرط الإطلاق لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان

ولما أثبت قدماؤهم الكليات المجردة عن الأعيان التي يسمونها المثل الأفلاطونية أنكر ذلك حذاقهم وقالوا هذه لا تكون إلا في الذهن ثم الذين ادعوا ثبوت هذه الكليات في الخارج مجردة قالوا إنها مجردة عن الأعيان المحسوسة ويمتنع عندهم أن تكون هذه هي المبدعة للأعيان بل يمتنع أن تكون شرطا في وجود الأعيان فإنها إما أن تكون صفة للأعيان أو جزءا منها

". (١)

"

فهذه الأمور من أصول ضلالهم حيث جعلوا الواحد متعددا والمتعدد واحدا وجعلوا ما في الذهن في الخارج وجعلوا ما في الخارج في الذهن ولزم من ذلك أن يجعلوا الثابت منتفيا والمنتفي ثابتا فهذه الأمور من أجناس ضلالهم وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أنا ننبه على بعض ما نبين به تناقضهم وضلالهم في عقلياتهم التي نفوا بها صفات الله عز وجل وعارضوا بها نصوص الرسول الثابتة بصحيح المنقول الموافقة لصريح المعقول وكلما أمعن الفاضل الذكي في معرفة أقوال هؤلاء الملاحدة ومن وافقهم في بعض أقوالهم من أهل البدع كنفاة بعض

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٨٦

الصفات الذين يزعمون أن المعقول عارض كلام الرسول وأنه يجب تقديمه عليه فإنه يتبين له أنه يعلم بالعقل الصريح ما يصدق ما أخبر به الرسول وما به يتبين فساد ما يعارض ذلك

ولكن هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في **لغات** الأمم معاني متعددة وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في **لغات** الأمم ثم ركبوها وألفوها تأليفا طويلا بنوا بعضه على بعض وعظموا قولهم وهولوه في نفوس من لم يفهمه ولا ريب أن فيه دقة وغموضا لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته فأخذ يعترض عليهم قالوا له أنت لا تفهم هذا وهذا لا يصلح لك فيبقى ما في النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تسلم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده وعلى ترك الإعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل ونقلوا الناس

". (١)

"

ولهذا تبرأ الخليل من مخافتها لما ناظرهم في عبادة الكواكب والأصنام وقال ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ سورة الأنعام ٧٦ قال تعالى ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾ سورة الأنعام ٨٠ ٨١ وقال تعالى ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ سورة الأنعام ٨٢ فإن المشركين يخافون المخلوقات من الكواكب وغيرها وهم قد أشركوا بالله ولا يخافون الله إذ أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وإنما يخشاه من عباده العلماء الذين يعلمون أنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم فهؤلاء الدهرية الفلاسفة وأمثالهم لا يخافون الله تعالى

فإن قال قائل فهم يقرون بالعبادات ويقولون ضجيج الأصوات في هياكل العبادات بفنون **اللغات** تحلل ما عقدته الأفلاك الدائرات لا سيما الإسلاميون منهم فإنهم يعظمون الأدعية والعبادات

قيل هم لا يقرون بأن الله نفسه يحدث شيئا بسبب الدعاء أو غيره وإنما الحوادث كلها عندهم بسبب حركة الفلك لا بشيء آخر أصلا وهم إذا قالوا إن النفوس تقوى بالدعاء والعبادة والتجرد والتصفية فتؤثر في هيولي العالم كان هذا عندهم بمنزلة تأثير الأكل والشرب في الري والشبع لا يستلزم ذلك عندهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٩٥

".(١)

"غيره والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله إذ كان لا بد له من الفاعل وهذا معلوم سمعا وعقلا

أما السمع فإن أهل اللغة العربية التي نزل بها القرآن بل وغيرها من **اللغات** متفقون على أن الإنسان إذا قال قام فلان وقعد وقال أكل فلان الطعام وشرب الشراب فإنه لا بد أن يكون في الفعل المتعدي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة إذ كلتا الجملتين فعلية وكلاهما فيه فعل وفاعل والثانية امتازت بزيادة المفعول فكما انه في الفعل اللازم معنا فعل وفاعل ففي الجملة المتعدية معنا أيضا فعل وفاعل وزيادة مفعول به

ولو قال قائل الجملة الثانية ليس فيها فعل قائم بالفاعل كما في الجملة الأولى بل الفعل الذي هو أكل وشرب نصب المفعول من غير تعلق بالفاعل أولا لكان كلامه معلوم الفساد بل يقال هذا الفعل تعلق بالفاعل أولا كتعلق قام وقعد ثم تعدى إلى المفعول ففيه ما في الفعل اللازم وزيادة التعدي وهذا واضح لا يتنازع فيه اثنان من أهل اللسان

".(٢)

"الباطن من أن الكلام لا يكون الا حرفا وصوتا ذا تأليف واتساق وان اختلفت به **اللغات** وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات وقالوا الكلام حروف متسقة وأصوات مقطعة وقالت يعني علماء العربية الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالاسم مثل زيد وعمرو والفعل مثل جاء وذهب والحرف الذي يجيء لمعنى مثل هل وبل وقد وما شاكل ذلك فالاجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفا وصوتا فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزله من طريق مجرد العقل وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعما منهم أنها اخبار آحاد وهي لا توجب علما والزمتهم المعتزلة الاتفاق على أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت يدخله التعاقب والتأليف وذلك لا يوجد في الشاهد الا بحركة وسكون ولا بد له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض وما كان

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٣/١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٢

بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله تعالى لأن ذات الحق لا توصف بالاجتماع والافتراق والكل والبعض والحركة والسكون وحكم الصفة الذاتية حكم الذات

قالوا فعلم بهذه الجملة أن الكلام المضاف الى الله تعالى خلق له

". (١)

"قال وقد بين الله في كتابه مالا إشكال بعده في هذا الفصل لما قال ﴿ وإذ نادى ربك موسى ﴾ سورة الشعراء ١٠ والعرب لا تعرف نداء الا صوتا وقد جاء عن موسى تحقيق ذلك فإن أنكرو الظاهر كفروا وإن قالوا إن النداء غير صوت خالفوا **لغات** العرب وإن قالوا نادى المير إذا أمر غيره بالنداء دفعوا فضيلة موسى عليه السلام المختصة به من تكليم الله إياه بذاته من غير واسطة ولا ترجمان وليس في وجود الصوت من الله تعالى تشبيه بمن يوجد الصوت منه من الخلق كما لم يكن في إتبات الكلام له تشبيه بمن له كلام من خلقه وكيف وكلامه وكلام خلقه معا عند الأشعري معنى قائم بذات المتكلم لا يختلف فهو المشبه لا محاله

قال واما نحن فنقول كلام الله حرف وصوت بحكم النص قال وليس ذلك عن جارحة ولا آلة وكلامنا حروف وأصوات لا يوجد ذلك منا الا بآله والله سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء لا يشغله شيء عن شيء والمتكلم منا لا يتأتى منه أداء حرفين إلا بأن يفرغ من أحدهما ويبتديء في الآخر والقرآن لما كن كلاما لله كان معجزا وكلام الخلق غير معجز وفي كلام الله بيان ما كان وما سيكون

". (٢)

"

واما قول ابن رشد لا يخلو إما ان يكون كل من جزأيه شرطا في وجود الآخر او لا يكون او يكون الواحد شرطا في الآخر من غير عكس

وقوله القسم الأول لا يكون قديما وذلك ان التركيب نفسه هو شرط في وجود الآخر فليس يمكن ان تكون الاجزاء هي علة التركيب ولا التركيب علة النفس إلا لو كان الشيء علة نفسه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨٤/٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٩٣/٢

فيقال له اولا تسمية هذا تركيبا واجزاء ليس هو من **لغات** بني ادم المعروفة التي يتخاطبون بها فإنه ليس في لغة من **لغات** الادميين أن الموصوف بصفات يقال انه مركب منها وانها اجزاء له واذا خاطبناكم باصطلاحكم فقد علمتم انه ليس المراد بالمركب إلا اتصاف الذات بصفات لازمة لها او وجود معان فيها او اجتماع معان وامور ونحو ذلك ليس المراد ان هناك مركبا ركبه غيره حتى يقال ان المركب مفتقر إلى مركب فإن من وافقكم على اصطلاحكم في تسمية الذات الواجبة الموصوفة بصفاتها اللازمة تركيبا لم يرد بذلك ان هناك مركبا ركبها فان هذا المعنى يقتضي ان يكون له فاعل ولكن تدعون

". (١)

"الوجود يجب ان يكون غير مركب من شرط ومشروط

فيقال له قد تقدم انكم انتم سميتم هذا تركيبا وهو لا يسمى تركيبا في لغه من **اللغات** المعروفة لبني آدم بل إنما سماه تركيبا متأخروكم كابن سينا وأمثاله واما قدماؤكم فقد ذكرتم عن ارسطو طاليس ان كل تركيب فهو كائن عنده فاسد والسماء عنده ليست كائنة فاسدة فهو لا يسمى السموات وما فيها من الكواكب مركبة مع انها اجسام متحيزة متحركة تقوم بها الاعراض فكيف يسمى ما كان حيا عالما قادرا مركبا واذا خاطبناكم باصطلاحكم المبتدع لنقطع شغبكم بحثنا معكم بحثا عقليا فإنكم تدعون ان هذه الامور معلومة بالعقل لا بالسمع واطلاق الالفاظ ونفيها لا تقفون انتم فيه عند الشرع فالواجب على اصولكم ان ما علم بالعقل ثبوته او انتفاؤه اتبع من غير مراعاة للفظ

ونحن نبين فساد ما ذكرتموه من المعنى بالعقل الصريح مع مخاطبتكم بلغتكم فيقال له لم قلت ان ما كان مركبا من شرط لا يكون واجب الوجود

و اما قوله لأن تركيبه إذا كان واجبا كان واجبا بغيره لا بذاته لأنه يعد تقدير مركب قديم من غير ان يكون له مركب

فيقال له هذا هو البحث اللفظي الذي ذكرناه هذا لأجله

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤١٩/٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣٢/٣

"

وجمهور العقلاء يخالفونهم في إثبات ذلك فضلا عن تسميته تركيبا ولو سلم لهم ثبوت ما يدعونه لم تكن تسميته مركبا من اللغة المعروفة بل هو وضع اصطلحوا عليه فإن الجسم الذي له صفات كالتفاحة التي لها لون وطعم وريح لا يعرف في اللغة المعروفة إطلاق كونها مركبة من لونها وطعمها وريحها ولا تسمية ذلك أجزاء لها ولا يعرف في اللغة أن يقال إن الإنسان مركب من الطول والعرض والعمق بل ولا أنه مركب من حياته ونطقه إلى أمثال ذلك من الأمور التي يسميها من يسميها من أهل الفلسفة والكلام تركيبا إما غلطا في المعقولات وإما اصطلاحا انفردوا به عن أهل **اللغات**

فليس لهؤلاء أن ينفوا ما علم ثبوته بالشرع والدعاء ومضاهاة للمشركين والنصارى والصابئين الذين ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾

وهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون وأبطلها القرآن رأيت من هؤلاء المتفلسفة نفاة الصفات كابن سينا ومن ضاهاهم في بعض الأمور

". (١)

"المشتري على الكوكب والمبتاع وكما يقال لفظ سهيل على الكوكب والرجل المسمى بسهيل وكذلك لفظ الثريا على النجم والمرأة المسماه بالثريا ومن هنا قال الشاعر ٪ أيها المنكح الثريا سهيلا ٪ ٪ عمرك الله كيف يلتقيان ٪ ٪ هي شامية إذا ما استقلت ٪ ٪ وسهيل إذا استقل يمان ٪

وهؤلاء متناقضون في هذا الجواب فإنهم وسائر العقلاء يقسمون الوجود إلى واجب وممكن وقديم ومحدث وأمثال ذلك مع علمهم بأن التقسيم لا يكون في الألفاظ المشتركة إن لم يكن المعنى مشتركا سواء كان متماثلا أو متفاضلا ومنهم من يخص المتفاضل بتسميته مشككا فالتقسيم لا يكون إلا في الألفاظ المتواطئة التواطؤ العام الذي يدخل فيه المشككة أو في المتواطئة التواطؤ الخاص وفي المشككة أيضا

فأما مثل سهيل فلا يقال سهيل ينقسم إلى الكوكب والرجل إلا أن يراد أن لفظ سهيل يطلق على هذا وهذا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٤٧/٥

ومعلوم أن مثل [هذا] التقسيم لا يراد به الإخبار عن الإطلاق في اللغة وإنما يراد به تقسيم المعنى المدلول عليه باللفظ ولهذا كان تقسيم المعاني العامة صحيحا ولو عبر عن تلك المعاني بعبارات متنوعة في اللغات فإن المقسوم هو المعنى الذي لا يختلف باختلاف اللغات

". (١)

"

ومعلوم أنه كان من أفصح الناس وأحسنهم بيانا واللغة التي خاطب بها أتم اللغات وأكملها بيانا وقد امتن الله عليهم بذلك كما في قوله تعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾

وقال تعالى ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾

وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾

وقال تعالى ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ بلسان عربي مبين ﴾

وقال تعالى ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ وأمثال ذلك

فإذا كان المخاطب أعلم الخلق بما يخبر به عنه ويصفه ويخبر به وأحرص الخلق على تفهيم المخاطبين وتعريفهم وتعليمهم وهداهم وأقدر الخلق على البيان والتعريف لما يقصده ويريده كان من الممتنع بالضرورة أن لا يكون كلامه مبينا للعلم والهدى والحق فيما خاطب به وأخبر عنه وبينه ووصفه بل وجب أن يكون كلامه أحق الكلام بأن يكون دالا على العلم والحق والهدى وأن يكون ما ناقض كلامه من الكلام أحق الكلام بأن يكون جهلا وكذبا وباطلا

". (٢)

"تارة وتستعمل بمعنى الطن تارة ولم ينقل أنها تستعمل بمعنى اليقين وهم يستعملونها في تصور يقيني وهو تصور المعاني التي ليست بمحسوسة ولا ريب في ثبوتها كعداوة الذئب للنعجة وصداقة الكبش لها وهو في لغة العرب يقال في هذه المعاني تصورتها وعملتها وتحققتها وتيقنتها وتبينتها ونحو ذلك من

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٣٢٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٣٧٣

الألفاظ الدالة على العلم ولا يقال توهمتها إلا إذا لم تكن معلمه فاصطلاحهم مضاد للمعروف في لغة العرب بل وفي سائر **اللغات**

وإذا كان كذلك فالإدراك الصحيح الذي يسمونه هم توهما وتخيلا هو نوع من التصور والشعور والمعرفة

يوضح ذلك أنهم قالوا في إثبات القوة الوهمية كما قال ابن سينا الحيوانات ناطقها وغير ناطقها تدرك في المحسوسات الجزئية معاني جزئية غير محسوسة ولا متأدية من طريق الحواس مثل إدراك الشاة معنى في الذئب غير محسوس وإدراك الكبش معنى في النعجة غير محسوس إدراكا جزئيا يحكم به كما يحكم الحس بما يشاهده فعندك قوة هذا شأنها وعند كثير من الحيوانات العجم قوة تحفظ هذه المعاني بعد حكم الحاكم بها غير الحافظ للصورة

". (١)

"

يؤيد هذا أنهم يقولون اللفظ المشهور في اللغة الذي يتداوله الخاص والعام لا يجوز أن يكون موضوعا بإزاء المعنى الدقيق الذي لا يفهمه إلا خواص الناس وهذا مما استدل به نفاة الأحوال على مثبتيها وقالوا المعروف في اللغة أن الحركة هي كون الجسم متحركا وأما ما يدعونه من أن الحركة أمر يوجب كون الجسم متحركا فهذا المعنى لا يفهمه إلا الخاصة فضلا عن أن يعلموا أن لفظ الحركة موضوع له

ولفظ الحركة لفظ مشهور يتداوله الخاصة والعامة فلا يجوز أن يكون مفهومه ما لا يتصوره المتخاطبون به وهذا بعينه يقال لهؤلاء النفاة الذين يسمون نفيهم توحيدا فيقال هذا الواحد الذي تثبتونه وهو أنه لا يشار إليه ولا يتميز منه شيء عن شيء ونحو ذلك أمر لا يتصوره إلا بعض الناس بل قليل منهم والذين تصوروه تنازعوا في إمكان وجوده في الخارج فمنهم من قال وجود هذا في الخارج ممتنع وإذا كان كذلك ولفظ الواحد مشهور في **اللغات** كلها أشهر من لفظ الحركة فلا يجوز أن يكون مسمى هذا الاسم في اللغة المعروفة معنى لا يتصوره إلا قليل من الناس وهم متنازعون في إمكان ثبوته في الخارج وإذا لم يكن هذا المعنى هو المراد بلفظ الواحد والأحد لم يجز الاستدلال بالسمع الوارد بلغة العرب على هذا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٤٤

". (١)

"الطالب للعلم إما أن يكون نظره في كلام معلم يبين له ويخاطبه بما يعرفه الحق وإما أن يكون في نفس الأمور الثابتة التي يخبر عنها المتكلم ويريد أن يعلم أمرها المتعلم كسائر الناظرين في الطب والنحو وغير ذلك إما أن ينظر في كلام المعلمين لهذا الفن وإما أن ينظر فيما من شأنه أن يخبر عنه كالأبدان **واللغات**

والسلف كان نظرهم في خير الكلام وأفضله وأصدقه وأدله على الحق وهو كلام الله تعالى وهم ينظرون في آيات الله تعالى التي في الآفاق وفي أنفسهم فيرون ذلك من الأدلة ما يبين أن القرآن حق قال تعالى ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ سورة فصلت ٥٣

والمناظرة المحمودة نوعان والمذمومة نوعان وذلك لأن المناظر إما أن يكون عالما بالحق وإما أن يكون طالبا له وإما أن لا يكون عالما به ولا طالبا له فهذا الثالث هو المذموم بلا ريب وأما الأولان فمن كان عالما بالحق فمناظرته المحمودة أن يبين لغيره الحجة التي تهديه إن كان مسترشدا طالبا للحق إذا تبين له أو يقطعه ويكف عدوانه إن كان معاندا غير متبع للحق إذا تبين له ويوقفه ويسلكه ويبعثه على النظر في أدلة الحق إن كان يظن أنه حق وقصده الحق

وذلك لأن المخاطب بالمناظرة إذا ناظره العالم المبين للحجة إما أن

". (٢)

"ما تعبدهم الله به من شريعته وأنه عليه السلام دعا جماعتهم إلى ذلك ونبههم على حدثهم بما فيهم من اختلاف الصور والهيئات وغير ذلك من اختلاف **اللغات** وكشف لهم عن طريق معرفة الفاعل لهم بما فيهم وفي غيرهم مما يقتضي وجوده ويدل على إرادته وتدبيره حيث قال عز وجل ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ سورة الذاريات ٢١ فنبههم عز وجل بتقلبهم في سائر الهيئات التي كانوا عليها على ذلك

وشرح لهم ذلك بقوله سبحانه ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ سورة المؤمنون ١٢ ١٤

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١١٨/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٦٧/٧

وهذا من أوضح ما يقتضي الدلالة على حدث الإنسان

". (١)

"بهرهم به وأظهر لهم منه ما يعلمون بيسير الفكر أنه خارج عن قدرهم وما يصلون إليه بحيلهم

وكذلك قد أزاح نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن وما فيه من العجائب علل الفصحاء من أهل وقطع به عذرهم لرؤيتهم أنه خارج عما انتهت إليه فصاحتهم في **لغاتهم** ونظموه في شعرهم وبسطوه في خطبهم وأوضح لجميع من بعث إليه من الفرق التي ذكرناها فساد ما كانوا عليه بحجج الله وبيناته ودل على صحة ما دعاهم إليه ببراهين الله وآياته حتى لم يبق لأحد منهم شبهة فيه ولا احتيج مع ما كان عليه السلام في ذلك إلى زيادة من غيره ولو لم يكن ذلك كذلك لم يكن له عليه السلام حجة على جماعتهم ولا كانت طاعته لازمة لهم مع خصامهم وشدة عنادهم ولكانوا قد احتجوا عليه بذلك ودفعوه عما يوجب

". (٢)

"طريقا إلى المعارف بما كلفهم إلى آخر الزمان حفظ أخباره عليه السلام في سائر الأزمنة ومنع من تطرق الشبه عليها حتى لا يروم أحد تغيير شيء منها أو تبديل معنى كلمة قالها إلا كشف الله تعالى ستره وأظهر في الأمة أمره حتى يرد ذلك عليه العربي والعجمي ومن قد أهل لحفظ ذلك من حملة علمه عليه السلام والمبلغين عنه كما حفظ كتابه حتى لا يطيق أحد من أهل الزيغ على تحريك حرف ساكن فيه أو تسكين حرف متحرك إلا يبادر القراء في رد ذلك عليه مع اختلاف **لغاتهم** وتباين أوطانهم لما أراده الله عز وجل من صحة الأداء عنه ووقوع التبليغ لما أتى به نبينا عليه السلام إلى من يأتي في آخر الزمان

". (٣)

"أنه فيها كاذب لأن أكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدري ما معنى الاستدلال فكيف يستعمله

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٨٩/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٠١/٧

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ٢١٤/٧

قلت لفظ الاستدلال فيه إجمال فإن أريد العبارة عن نظم الأدلة والجواب عن الممانعات والمعارضات فهذا قد يقال إنه لا يحسنه إلا من يحسن الجدل وأما الاصطلاح المعين والترتيب المعين أو اللفظ المعين فهذا بمنزلة **اللغات** لا يعرفه إلا من يعرف تلك اللغة وليس هذا واجبا بلا ريب

وإن أريد به نفس طلب العلم بالشيء بالدليل والنظر فيما يدل على الشيء فهذا مركوز في فطرة جميع الناس فإنه ما منهم أحد إلا وعنده من نوع النظر والاستدلال بل ومن نوع الجدال بحسب ما هداه الله إليه من ذلك

وقد قال تعالى ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾ سورة الكهف ٥٤ والإنسان يجادل بالباطل ليدحض به الحق من غير معرفة بقوانين الجدل فكيف لا يجادل بالحق

والناس من النظر والمناظرة في صناعاتهم وأمور دنياهم ما يبين أن النظر والمناظرة مركوز في فطرهم فكيف في أمور الدين

والله سبحانه يقول ﴿ الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ﴾ سورة الأعلى ٢ ٣ وقال تعالى ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ سورة طه ٥٠

". (١)

"أو أوكد منه ولفظ السنة هل يدخل فيه الواجب أو لا يدخل ومثل هذه المنازعات اللفظية كثيرة

وهذه بمنزلة **اللغات** والعادات في العبادات قد تحمد أو تذم بحسب الشرع تارة وبحسب اللغة أخرى وقد لا تحمد ولا تذم

وإن كان نزاعكم في معنى عقلي وهو أن العين التي اتفقتم على تسميتها جسما بحسب اصطلاحكم وهي ما يشار إليه بقول أحدكما إنها مركبة من أجزاء مفردة أو المادة والصورة والآخر ينكر ذلك فهذا يمكن فصل النزاع بينكم وإذا كان النزاع معنويا بالأدلة العقلية تارة وبغيرها أخرى

ولكن مثل هذه المسائل لا يحتاج إليها الدين كما لا يحتاج إلى مسائل الهيئة والتشريح وإن كان العلم بها مما ينتفع به في الدين كما ينتفع بالحساب والطب وكما ينتفع بمسائل النحو واللغة ونحو ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣٩/٧

ومن هذا الباب ما ذكره من تماثل الأجسام وتناهي قواها وأنها مركبة مفتقرة إلى مركب فإن هذه المسائل مما تنازع فيها العقلاء مع اتفاق المسلمين على أن الله ليس له مثل ولا تنتهي قوته وأنه غير مفتقر إلى غيره

فالمعنى الذي يرده النافي بلفظ الجسم يوافقه المثبت عليه وإذا تنازعوا بعد هذا لم يكن نزاعهم إلا لفظيا وليس لإطلاق لفظ واحد منهما أصل في الشرع لا هذا ولا هذا فالشرع لم يسكت عن المعنى الذي يجب نفيه الذي ينفيه النافي بلفظ الجسم بل نفاه الشرع

". (١)

" الوجه السادس أن يقال له هذا الحد الذي ذكرته في الجود حين قلت إن من جاد ليشرف وليحمد وليحسن به ما يفعل فهو مستعيض غير جواد فهذا التفسير عمن نقلته ومن ذكره من أهل التفسير للنصوص أو من أهل اللغة العربية بل من سائر لغات الأمم وإن كان ذلك لا ينفعه إن لم يبين معنى هذا اللفظ العربي في لغة العرب ومن المعلوم أن هذا لم يقله أحد من أهل العلم بالنصوص الشرعية واللغة العربية فصار ذلك افتراءا على النصوص واللغة

الوجه السابع أن يقال اسم الجواد يقال على كثير من المخلوقين مع انتفاء هذه المعاني عنهم فلو كان هذا المعنى داخلا في هذه الاسم لم يصح إطلاقه على مخلوق إلا مجازا أو بطريق الاشتراك وكلاهما مع كونه خلاف الأصل إنما يكون إذا ثبت استعمال اللفظ في المعنى مجردا فكيف وأصل الاستعمال منتف

الوجه الثامن أن يقال المعروف في الشرع واللغة والعقل أن الذي يفعل أو يفيد ما ينبغي لا لمقصود أصلا عابث وإن كان لا لمقصود يعود إلى نفسه فهو سفيه أو جاهل وكلاهما مذموم في الشرع والعقل بل يستحق في الشرع أن يحجر عليه وهو من أسو المبذرين حالا فإن من المبذرين من يبذل المال لأغراض محرمة وإن كان فيها ما هو مقصود له فأما من يبذل ما ينبغي لا لمقصود أصلا فهذا إن كان موجودا فهو مذموم واسم الجود في الشرع واللغة والعقل اسم مدح فيستحيل أن يفسر بما لا يكون عند الناس إلا مذموما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٣١٥

بل يقال في الوجه التاسع هذا المسمى لا يعرف وجوده أصلا فليس في الموجودات ما يفيد وينفع لا لمقصود أصلا حتى الحركات الطبيعية لحركتها منتهى ومستقر هو منتهى ميلها ويسمى ميلها إرادة وقد جعلوهم عشقا لذاك الكمال وإذا ." (١)

" قلت والكلام في ذلك من وجهين

أحدهما أنا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين لم يبنوا شيئا من أمر الدين على ثبوت الجوهر الفرد ولا انتفائه وليس المراد بذلك أنهم لم ينطقوا بهذا اللفظ فإنه قد تجدد بعدهم ألفاظ اصطلاحية يعبر بها عما دل عليه كلامهم في الجملة وذلك بمنزلة تنوع **اللغات** وتركيب الألفاظ المفردات وإنما المقصود أن المعنى الذي يقصده المثبتة والنفاة بلفظ الجوهر الفرد لم يبن عليها أحد من سلف الأمة وأئمتها مسألة واحدة من مسائل الدين ولا ربطوا بذلك حكما علميا ولا عمليا فدعوى المدعى انبناء أصل الإيمان بالله واليوم الآخر على ذلك يضاهي دعوى المدعي أنما بينوه من الإيمان بالله واليوم الآخر ليس هو على ما بينوه بل إما أنهم ما كانوا يعلمون الحق أو يجوزوا الكذب في هذا الباب لمصلحة الجمهور كما يقول نحو ذلك من يقوله من المنافقين من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم من ا لباطنية فإنهم إذا أثبتوا من أصول الدين ما يعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول الدين لزم قطعا تغيير الدين وتبديله وبهذا زاد أهل هذا الفن في الدين ونقصوا منه علما وعملا وإذا كان كذلك لم يكن الخوض في هذه المسألة مما يبنى الدين عليه بل مسألة من مسائل الأمور الطبيعية كالقول في غيرها من أحكام الأجسام الكلية

وأيضا فإنه أطبق أئمة الإسلام على ذم من بنى دينه على الكلام في الجواهر والأعراض ثم هؤلاء الذين ادعوا توقف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر على ثبوته قد شكوا فيه وقد نفوه في آخر عمرهم كإمام المتأخرين من المعتزلة أبي الحسين البصري وإمام المتأخرين من الأشعرية أبي المعالي الجويني وإمام المتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين أبي عبدالله الرازي فإنه في كتابه بعد أن بين توقف المعاد على ثبوته وذكر ذلك غير مرة في أثناء مناظرته للفلاسفة قال في المسألة ." (٢)

" نؤمن أن الله تعالى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد قال فقد أطلق القول في ذلك من غير كيفية الاستواء وقد علق القول في موضع آخر فقال في رواية المروذي

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٩١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٨٣

يروى عن ابن المبارك أنه قيل له كيف نعرف الله تعالى قال على العرش بحد قال قد بلغني ذلك وأعجبه قال القاضي وهذا محمول على أن الحد راجع إلى العرش لا إلى الذات ولا إلى الاستواء وقصد أن يبين أن العرش مع عظمته محدود

قلت وهذا الذي قاله القاضي في الاستواء هنا هو الذي يقوله أئمة الأشعرية المتقدمين وهو قريب من قول أبي محمد ابن كلاب وأبي العباس القلانسي وغيرهم من أهل الحديث والفقه ولهذا قال خلافا لمن قال من المعتزلة معناه الاستيلاء والغلبة وخلافا لمن قال من الأشعرية معناه العلو من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة وهذا قول بعض الأشعرية لا أئمتهم المتقدمون قال وخلافا للكرامية والمجسمة معناه المماسة للعرش بالجلوس عليه ثم أنه قال في الحجة والذي بين صحة ما ذكرنا أنه مقالة السلف من أهل اللغة وغيرهم فذكر ابن قتيبة في كتاب مختلف الحديث الرحمن على العرش استوى استقر كما قال الله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك أي استقررت وذكر ابن بطة عن ابن الإعرابي قال أرادني ابن أبي داود أن أطلب في بعض لغات العرب ومعانيها الرحمن على العرش استولى فقلت والله ما يكون هذا ." (١)

" وأما الشرك الذي في النصارى فإنما ابتدعوه تشبها بأولئك فكان فيهم قليل من شرك أولئك قال تعالى وقالت اليهود عزيز ابن عبد الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل كالذين قالوا الملائكة أولاد الله كما يقوله هؤلاء المتفلسفة الصابئون فإنهم كانوا قبل النصارى

قلت وأما التوحيد الذي يذكر عن الفلاسفة من نفي الصفات فهو مثل تسمية المعتزلة لما يقولونه توحيدا وهذا في التحقيق تعطيل مستلزم للتمثيل والإشراك وأما النصارى فهم لا يقولون إن ثم إلهين متباينين بل يقولون قولا متناقضا حيث يجعلون الثلاثة واحدا ويجعلون الواحد هو المتحد بالمسيح دون غيره مع عدم إمكان تحيز واحد عن غيره وهذا الكفر دون كفر الفلاسفة بكثير وتكلمت في ذلك بكلام بعد عهدي به وفساد هذا وتناقضه أعظم حتى لقد قال عبد الله بن المبارك إنا لنحكي قول اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية

وهذا يتبين بما نقوله وهو أن ما فسر به هؤلاء اسم الواحد من هذه التفاسير التي لا أصل لها في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة باطل بلا ريب شرعا وعقلا ولغة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٣٤/١

أما في اللغة فإن أهل اللغة مطبقون على أن معنى الواحد في اللغة ليس هو الذي لا يتميز جانب منه عن جانب ولا يرى منه شئ دون شيء إذ القرآن ونحوه من الكلام العربي متطابق على ما هو معلوم بالأضرار في لغة العرب وسائر **اللغات** أنهم يصفون كثيرا من المخلوقات بأنه واحد ويكون ذلك جسما إذ المخلوقات إما أجسام وإما أعراض عند من يجعلها غيرها وزائدة عليها ." (١)

" والأدوية والأبنية واللباس من أجزائها ومعلوم نفي هذا التركيب عن الله ولا نعلم عاقلا يقول أن الله تعالى مركب بهذا الاعتبار وكذلك التركيب بمعنى أنه مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة وهو التركيب الجسمي وهذا أيضا منتف عن الله تعالى والذين قالوا أن الله جسم قد يقول بعضهم أنه مركب هذا التركيب وإن كان كثير منهم بل أكثرهم ينفون ذلك ويقولون إنما نعني بكونه جسما أنه موجود أو قائم بنفسه وأنه يشار إليه أو نحو ذلك لكن بالجملة هذا التركيب وهذا التجسيم يجب تنزيه الرب عنه

وأما كونه سبحانه ذاتا مستلزمة لصفات الكمال له علم وقدرة وحياة فهذا لا يسمى مركبا فيما يعرف من **اللغات** وإذا سمى هذا مركبا لم يكن النزاع معه في اللفظ بل في المعنى العقلي ومعلوم أنه لا دليل على نفي هذا كما قد بسط في موضعه بل الدلالة العقلية توجب إثباته ولهذا كان جميع العقلاء مضطرين إلى إثبات معن متعددة لله تعالى فالمعتزلي يسلم أنه حي عالم قادر ومعلوم أن كونه حيا ليس هو معنى كونه عالما ومعنى كونه عالما ليس معنى كونه قادرا والمتفلسف يقول إنه عاقل ومعقول وعقل ولذيذ ومتلذ ولذة وعاشق ومعشوق وعشق ومعلوم بصريح العقل أن كونه يحب ليس كونه محبوبا وكونه معلوما ليس معنى كونه عالما ومعنى كونه قادرا مؤثرا فاعلا وذلك هو نفس ذاته فيجعل العلم هو القدرة وهو الفعل وتجعل القدرة هي القادر والعلم هو العالم والفعل هو الفاعل وهذه الأقوال صريح العقل ومجرد تصورها التام يكفي في العلم بفسادها وليس فرارهم إلا من معنى التركيب وليس معهم قط حجة على نفي مسمى التركيب بجميع هذه المعاني بل عمدتهم أن المركب مفتقر إلى أجزائه وأجزاؤه غيره والمفتقر إلى غيره لا يكون واجبا بنفسه بل يكون معلوما وهذه الحجة ألفاظها كلها مجملة فلفظ الواجب بنفسه يراد به الذي لا فاعل له ." (٢)

" هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تمارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك وذكر الحديث بطوله قال ابو سعيد اشهد لحفظته من

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٨٢/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٥٠٧/١

رسول الله صلى الله عليه و سلم وهكذا هو في الصحيحين من حديث زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا قال هل تضارون في رؤية الشمس اذا كان صحوا قلنا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر اذا كان صحوا قلنا لا قال فانكم لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما وساق الحديث بطوله وفي صحيح مسلم من حديث سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة قال قال ناس يا رسول الله انرى ربنا يوم القيامة قال فهل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب قالوا لا قال والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤيته الا كما تضارون في رؤية احدهما وذكر الحديث بطوله

فهذا فيه مع اخباره انهم يرونه اخبارهم انهم يرونه في جهة منهم من وجوه احدها ان الرؤية في لغتهم لا تعرف الا لرؤية ما يكون بجهة منهم فأما رؤية ما ليس في الجهة فهذا لم يكونوا يتصورونه فضلا عن ان يكون اللفظ يدل عليه كما قد اعترف هو بذلك فيما تقدم وهو ايضا فانك لست تجد احدا من الناس يتصور وجود موجود في غير جهة فضلا عن ان يتصور انه يرى فضلا عن ان يكون اسم الرؤية المشهور في **اللغات** كلها يدل على هذه الرؤية الخاصة

الوجه الثاني انه قال فانكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوا وكما ترون القمر صحوا فشبه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر وليس ذلك ." (١)

" من لم يشاهد الا انسانا اسود فحين يمثل في نفسه انسانا يخاطبه انما يسبق الى نفسه انه اسود لا غير ومن لم يسمع من **اللغات** الا العربية فحين يمثل في نفسه معنى انما يسبق الى نفسه التعبير عن ذلك المعنى بلفظ العرب وكذلك سبق الى الوهم ان من يدعو حيا عالما قادرا على ما يشاء معنى الأحياء القادرين ويتبع ذلك انه في مكان ولأن العلو اشرف لأن الأنوار فيه ولأن الرأس لما كان اشرف الأعضاء كان ما يليه اشرف الجهات فيسبق الى فهم الدعي ان يعتقد عظمته اذا كان في جهة وجب ان يكون في جهة العلو فلسبب هذه الأمور وامثالها وقعت الاشارة الى السماء ثم ان الاخلاف اخذوا ذلك عن الاسلاف مع مشاركتهم لهم في هذا التخيل فظهر ان سبب ذلك هو الالف فلا يكون صوابا واما حديث الأمة فهو من الآحاد ثم لو صح لكان سببه ما ذكرنا من الالف

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤١٠/٢

والكلام على ما ذكره من وجوه الأول ان الاستدلال برفع الأيدي والأبصار الى السماء عند الدعاء على ان الله فوق هو حجة اهل الاثبات المثبتين الصفات من السلف والخلف ليس ذلك مختصا بالكرامية بل من اشهر المحتجين به ائمة اصحاب الأشعري وذووه

وقال ابو الحسن الأشعري فان قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل له ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقال سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال سبحانه بل رفعه الله اليه وقال سبحانه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الأسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا فاكذب موسى في قوله ان الله فوق السموات ." (١)

" بوجود أبيض لم يتمثل مخاطبه أبيض بل وقد يتمثل مخاطبه انسان مطلق ولا يخطر بقلبه لونه وقد يخطر بقلبه لونه فلا يكون الا ما علمه من ألوان الناس وهو السواد أما اذا علم وجود البيض من الناس ومثل في نفسه أنه يخاطبهم وان كان لم يرهم بعد كما لو قيل لملك السودان قد قدم عليك رسل البيض وهم بيض فهنا اذا زور في نفسه ما يخاطبه به لم يمثل أنه يخاطبه به لم يمثل أنه يخاطب أسود وكذلك لو علم وجود الصنفين وقدر مخاطبه انسان مطلق لم يتمثل لونه بل قد يصنف الكتب ويقف الوقوف وقد يكتب ذلك بالعربية وقد لا يكون رأى غير البيض ومع هذا فلا يتمثل حين المخاطبة المطلقة لون المخاطبين ولهذا يندرج في خطابه البيض والسود واللفظ يطابق المعنى وهو ما عناه وقصده بكلامه ولو لم يقصد الا البيض مثلا لم يتناول لفظه لغيرهم وليس الأمر كذلك باجماع الناس

وأما التمثيل باللغة فليس هو من أمثلة هذه المسألة وذلك أن من لم يسمع غير العربية لا يقدر أن يتكلم بغيرها ولا يتمثل في عبارات نفسه لغة غيرها فلا يكون التعبير بغير العربية متمثلا في نفسه لا سابقا ولا لاحقا ولو علم أن للناس لغة غير العربية او سمعها ولم يحفظها لم يقدر بذلك على التعبير بغير العربية متمثلا في نفسه لا سابقا ولا لاحقا ولو علم أن للناس لغة غير العربية أو سمعها ولم يحفظها لم يقدر بذلك على التعبير بها ولا على تمثيلها **فاللغات** بمنزلة تعلم الانسان الصناعات والأعمال كالخياطة والنجارة والحراثة اذا لم يكن يحسنها الانسان الا على صفة لم يتمثل في نفسه اذا رآها أن يعملها الا الصفة التي

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٣٣

يحسنها فأين ما يقدره الانسان وليصورة في نفسه من مراده ومقصوده الذي يفعله بقدرته من الألفاظ والحركات ." (١)

"وكذلك ذكر القاضي وغيره أنه إذا منع ثبوت وصف العلة بعد النقض لم يقبل؛ لأن النقض اعتراف بوجود العلة وهي مذكورة في أصل الكتاب؛ وهذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: أن السكوت لا يدل على التسليم والإقرار كما لو اشترى منه شيئا فإنه لا يقضي أنه مقر له بالملك، أكثر ما فيه أنه أخر السؤال وتركه، وفرق بين عدم منعه وبين تسليمه وليس كل من لم ينف أو يمنع يكون موافقا.

الثاني: أنه لو اعترف صريحا بصحة مقدمة لجاز رجوعه عنها، بل وجب إذا تبين له الحق في خلافها، وهذا ليس كالإقرار بحقوق الآدميين، فإنه لو أقر بحق لله لجاز رجوعه عنه، فكيف بالأقوال الاعتقادية التي يجب فيها اعتقاد الحق فهو كرجوع المفتي عما تبين له خطؤه [ورجوع الحاكم والشاهد والمحدث عما تبين له خطؤه] كذلك

رجوع المناظر سواء، وليس هذا عيبا عليه في عقله ولا دينه؛ لأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، كرجوع الباقين، وهذا بناء منهم على البناء بمقدمة مسلمة وإن لم تكن معلومة؛ لكن فرق بين دوام التسليم والإقرار وبين الرجوع عنه، وقد اعترفوا بالفرق بين أسئلة الجدل وأسئلة الاسترشاد، ومن هنا تخبط، وإلا فلا ينبغي الجدل إلا على وجه الإرشاد والاسترشاد دون الغلبة والاستذلال، وإنما لأهل الجدل والأصول في الجدل العلمي من الحيل والاصطلاح الفاسد أوضاع كثيرة، كما أن للفقهاء والحكام في الجدل الحكمي نحو ذلك، والواجب رد جميع أبواب الجدل والمخاصمة في العلم وفي الحقوق إلى ما دل عليه الكتاب والسنة(١).

مسائل اللغات

---

(١) المسودة ص ٥٥٢، ٥٥٣ ف ٢/؟؟.." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٩٠

(٢) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٥٥

"ص -٨٢- وقال في سورة يس: ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ قالوا فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب الذين قال إنه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله وإنه لا يلزمنا اتباعه لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله خاطبونا بألسنتنا وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسكون به يومنا هذا وسلموا إلينا التوراة والإنجيل **بلغاتنا** على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذي أتى به هذا الرجل حيث يقول في سورة إبراهيم: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ وقال في سورة النحل: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ وقال في سورة الروم: ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ فقد صح في هذا الكتاب أنه لم يأت إلا في الجاهلية من العرب وأما قوله سورة آل عمران: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فيريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين أتاهم بلغتهم لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه.

ونعلم أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله.

هذه ألفاظهم بأعيانها في الفصل الأول وهذا الفصل لم يتعرضوا فيه لا لتصديقه ولا لتكذيبه بل زعموا أن في نفس هذا الكتاب أنه لم يقل إنه مرسل إليهم بل إلى جاهلية العرب وإن العقل أيضا يمنع أن يرسل إليهم.

فنحن نبدأ بالجواب عن هذا ونبين أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه مرسل إليهم وإلى جميع الإنس والجن وأنه لم يقل قط أنه لم يرسل إليهم ولا في كتابه ما يدل على ذلك.." (١)

"ص -٢٢٣- فصل

فإذا عرف هذا فاحتجاج هؤلاء بالآيات التي ظنوا دلالتها على أن نبوته خاصة بالعرب تدل على أنهم ليسوا ممن يجوز لهم الاستدلال بكلام أحد على مقصوده ومراده وأنهم ممن قيل فيه : ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾.

فليسوا أهلا أن يحتجوا بالتوراة والإنجيل والزبور على مراد الأنبياء وسائر الكلام المنقول عن الأنبياء على مراد الأنبياء عليهم السلام بل ولا يحتجون بكلام الأطباء والفلاسفة والنحاة وعلم أهل الحساب والهيئة على مقاصدهم.

فإن الناس كلهم متفقون على أن لغة العرب من أفصح **لغات** الآدميين وأوضحها ومتفقون على أن القرآن في

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٨/٢

أعلا درجات البيان والبلاغة والفصاحة وفي القرآن من الدلالات الكثيرة على مقصود الرسول صلى الله عليه وسلم التي يذكر فيها أن الله تعالى أرسله إلى أهل الكتاب وغيرهم مالا يحصى إلا بكلفة ثم مع ذلك من النقول المتواترة عن سيرته صلى الله عليه وسلم في دعائه لأهل الكتاب وأمره لهم بالإيمان به وجهاده لهم إذا كفروا به ما لا يخفى على من له أدنى خبرة بسيرته صلى الله عليه وسلم وهذا أمر قد امتلأ العالم به وسمعه القاصي والداني فإذا كان الناس المؤمن به وغير المؤمن به يعلمون أنه كان يقول إنه رسول الله إلى أهل الكتاب وغيرهم وأن ظهور مقصوده بذلك مما يعلمه بالاضطرار الخاصة والعامة ثم شرعوا يظنون أنه كان يقول إني لم أبعث إلا إلى العرب واستمر على ذلك حتى مات دل على فساد نظرتهم وعقلهم أو على عنادهم ومكابرتهم وكان الواجب إذ لم يكن له معرفة معاني هذه الآيات التي استدلوا بها على خصوص رسالته أن يعتقدوا أحد أمرين:

إما أن لها معاني توافق ما كان يقوله أو أنها من المنسوخ فقد علمت الخاصة والعامة أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد هجرته إلى بيت المقدس نحو سنة ونصف." (١)

"ص -٣٠١- الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فنفع الله به الناس فزرعوا وسقوا وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من تفقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به".

فدعا النبي لمن يبلغ حديثه وإن لم يتفقه فيه وقال رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

وقد كان العارفون باللغة العربية حين بعث الله محمدا إنما يوجدون في جزيرة العرب وما والاها كأرض الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق ثم انتشر فصار أكثر الساكنين في وسط المعمورة العربية حتى اليهود والنصارى الموجودون في وسط الأرض يتكلمون بالعربية كما يتكلم بها أكثر المسلمين بل كثير من اليهود والنصارى يتكلمون بالعربية أجود مما يتكلم بها كثير من المسلمين.

وقد انتشرت هذه اللغة أكثر مما انتشرت سائر ارلغات حتى أن الكتب القديمة من كتب أهل الكتاب ومن كتب الفرس والهند واليونان والقبط وغيرهم عربت بهذه اللغة.

ومعرفة الكتب المصنفة بالعربية والكلام العربي أيسر على جمهور الناس من معرفة الكتب المصنفة بغير العربية فإن اللسان العبري والسرياني والرومي والقبطي وغيرها وإن عرفه طائفة من الناس فالذين يعرفون اللسان

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٠2/٢

العربي أكثر ممن يعرف لسانا من هذه الألسنة.

وأيضا فمعرفة ما أمر الله عباده أمرا عاما هو مما نقله الأمة عن نبيها نقلا متواترا." (١)

"ص -٣٠٩- أو حساب بلسان قومه ثم يترجم ذلك الكتاب وينقل إلى **لغات** أخر وينتفع به أقوام آخرون كما ترجمت كتب الطب والحساب التي صنفت بغير العربي وانتفع بها العرب وعرفوا مراد أصحابها وإن كان المصنف لها أولا إنما صنفها بلسان قومه وإذا كان هذا في بيان الأمور التي لا يتعلق بها سعادة الآخرة والنجاة من عذاب الله فكيف يمتنع في العلوم التي يتعلق بها سعادة الآخرة والنجاة من العذاب أن ينقل من لسان إلى لسان حتى يفهم أهل اللسان الثاني بها ما أراده بها المتكلم بها أولا باللسان الأول.

وأبناء فارس المسلمون لما كان لهم من عناية بهذا ترجموا مصاحف كثيرة فيكتبونها بالعربي ويكتبون الترجمة بالفارسية وكانوا قبل الإسلام أبعد عن المسلمين من الروم والنصارى فإذا كان الفرس المجوس قد وصل إليهم معاني القرآن بالعربي وترجمته فكيف لا يصل إلى أهل الكتاب وهم أقرب إلى المسلمين منهم وعامة الأصول التي يذكرها القرآن عندهم شواهدها ونظائرها في التوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك من النبوات بل كل من تدبر نبوات الأنبياء وتدبر القرآن جزم يقينا بأن محمدا رسول الله حقا وأن موسى رسول الله صدقا لما يرى من تصادق الكتابين التوراة والقرآن مع العلم بأن موسى عليه السلام لم يأخذ عن محمد وأن محمدا لم يأخذ عن موسى فإن محمدا باتفاق أهل المعرفة بحاله كان أميا من قوم أميين مقيما بمكة ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة والإنجيل ولا الزبور ومحمد لم يخرج من بين ظهرانيهم ولم يسافر قط إلا سفرتين.

إلى الشام خرج مرة مع عمه أبي طالب قبل الاحتلام ولم يكن يفارقه ومرة أخرى مع ميسرة في تجارته وكان ابن بضع وعشرين سنة مع رفقة كانوا يعرفون جميع أحواله ولم يجتمع قط بعالم أخذ عنه شيئا لا من علماء اليهود ولا النصارى ولا من غيرهم لا." (٢)

"ص -٣٢٠- مريم العذراء افتحي لنا أبواب الرحمة.

الوجه الثالث: قولهم أنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل **بلغاتهم** إنما يستقيم إن كان صحيحا في بعض النصارى لا في جميعهم فإن العرب من النصارى وغير العرب لم يسلم أحد إليهم توراة ولا إنجيلا بلسانهم وهذا أمر معروف ولا توجد قط توراة ولا إنجيل معرب من زمن الحواريين وإنما عربت في الأزمان المتأخرة فإذا كانت النصارى من العرب تقوم عليهم الحجة قبل محمد بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم فكيف

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٠٨/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١٨/٢

لا تقوم على الروم وغيرهم الحجة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم.

الوجه الرابع: أن يقال الأمة إذا غيرت دين رسولها الذي أرسل إليها وبدلته أرسل الله إليها من يدعوها إلى الدين الذي يحبه الله ويرضاه كما أن بني إسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلوه بعث الله إليهم وإلى غيرهم المسيح بالدين الذي يحبه ويرضاه وكذلك النصارى لما بدلوا دين المسيح وغيروه بـعث الله إليهم وإلى غيرهم محمدا بالدين الذي يحبه ويرضاه.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب".

وأولئك البقايا الذين كانوا متمسكين بدين المسيح قبل مبعث محمد كانوا على دين الله عز وجل وأما من حين بعث محمد فمن لم يؤمن به فهو من أهل النار كما قال في الحديث الصحيح: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

الوجه الخامس: أن يقال دعواهم أن الرسل سلموا إليهم التوراة والإنجيل وسائر النبوات باثنين وسبعين لسانا وأنها باقية إلى اليوم على لفظ واحد دعوى يعلم أن قائلها." (١)

"ص -٤٩٨- مبعث محمد وبعد تكذيبهم لمحمد وأنه لم يبدل شيء من ألفاظها وقد تبين فساد ذلك من وجوه متعددة.

ثم زعموا أن المسلمين يدعون أن ألفاظ هذه الكتب حرفت كلها بجميع **لغاتها** بعد مبعث محمد وهذا القول لم يقله أحد من المسلمين فيما أعلم وظنوا أنهم بالجواب عن هذا يكونون قد أجابوا المسلمين.." (٢)

"ص -٢١- والترجمة يقع فيها الغلط كثيرا كما وجدنا في زماننا من يترجم التوراة من العبرية إلى العربية ويظهر في الترجمة من الغلط ما يشهد به الحذاق الصادقون ممن يعرف اللغتين.

والنصارى يقولون إنما كتبت بأربع **لغات** بالعبرية والرومية واليونانية والسريانية.

وأما قولهم إنها كتبت باثنين وسبعين لغة فهذا إن كان صحيحا فإنما كتبت بعد أن كتبت تلك الأربعة فإذا كان الغلط وقع في مواضع من تلك الأربعة لم يرفعه بعد ذلك كتابتها باثنين وسبعين لغة فإن المسلمين لا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٣٠/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٧٣/٣

يقولون أنها كتبت باثنين وسبعين لغة غير لفظها في جميع الألسن لاثنين وسبعين لغة في كل نسخة من ذلك.

وإنما يقال التغيير وقع قبل ذلك كما يقال في سائر ما وردعن المسيح وموسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه من الحديث مثل سيرة ابن إسحاق وأحاديث السنن والمساند المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن في ا لعالم بكل كتاب منها نسخ كثيرة ل ا يمكن أن يغير منها فصل طويل ولكن في نفس السيرة وقع غلط في مواضع وأحاديث وقعت في السنن هي غلط في الأصل فاشتهار النسخ بها بعد ذلك لا يمنع وقوع الغلط في الأصل وهذه كتب التفسير والفقه والدقائق ما من كتاب إلا وبه نسخ كثيرة في العالم لا يمكن تغيير فصل طويل منها وفيها أحاديث غلط في الأصل.." (١)

"ص -٢٦- فصل.

وأما من قال إنه غير بعض ألفاظها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يقولون إنه كان في التوراة والإنجيل وغيرهما ألفاظ صريحة بأمور.

منها اسم محمد وأنه عمد بعض أهل الكتاب فغيروا بعض الألفاظ في النسخ التي كانت عندهم.

لا يقولون إن هؤلاء غيروا كل نسخة كانت على وجه الأرض لكن غيروا بعض ألفاظ النسخ وكتب الناس من تلك النسخ المغيرة نسخا كثيرة انتشرت فصار أكثر ما يوجد عند كثير من أهل الكتاب هو من تلك النسخ المغيرة.

وفي العالم نسخ أخرى لم تغير فذكر كثير من الناس أنه رآها وقرأها وفي تلك النسخ ما ليس في النسخ الأخرى ومما يدل على ذلك أنك في هذا الزمان إذا أخذت نسخ التوراة الموجودة عند اليهود والنصارى والسامرة وجدت بينهما اختلافا في مواضع متعددة.

وكذلك نسخ الإنجيل وكذلك نسخ الزبور مختلفة اختلافا متباينا بحيث لا يعقل العاقل أن جميع نسخ التوراة الموجودة متفقة على لفظ واحد ولا يعلم أن جميع نسخ الإنجيل متفقة على لفظ واحد ولا يعلم أن جميع نسخ الزبور متفقة على لفظ واحد فضلا عن سائر النبوات.

ومعلوم أنه لا يمكن أهل الكتاب إقامة حجة على أن جميع النسخ بجميع **اللغات** في زوايا الأرض متفقة على لفظ واحد في جميع ما هو موجود من جميع النبوات والحجة التي احتجوا بها على تعذر تغييرها كلها تدل على تعذر العلم بتساويها كلها.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٠/٤

فإذا قالوا فمن هو الذي تكلم باثنين وسبعين لسانا ومن هو الذي حكم على الدنيا كلها ملوكها وقساوستها وعلمائها حتى حكم على جميع من بأقطار الأرض وجمعها من أربع زوايا الأرض حتى يغيرها.

قيل لهم ومن الذي يعلم اثنين وسبعين لغة ومن هو الذي حكم على الدنيا ملوكها وقساوستها وعلمائها حتى حكم على جميع من بأقطار الأرض وجمعها من أربع زوايا." (١)

"ص -٣٣- ذلك وكذلك بين الأناجيل فكيف بنسخ النبوات.

وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد باسمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ما ليس في أخرى.

الوجه الثالث: أن التبديل في التفسير أمر لا ريب فيه وبه يحصل المقصود في هذا المقام فإنا نعلم قطعا أن ذكر محمد مكتوب فيما كان موجودا في زمنه من التوراة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والأنجيل﴾. ولا ريب أن نسخ التوراة والإنجيل على عهده كانت كثيرة منتشرة في مشارق الأرض ومغاربها فلا بد من أحد الأمرين.

إما أن يكون غير اللفظ من بعض النسخ وانتشرت النسخ المغيرة.

وإما أن يكون ذكره في جميع النسخ كما استخرجه كثير من العلماء ممن كان من أحبار اليهود والنصارى وممن لم يكن من أحبارهم استخرجوا ذكره والبشارة به في مواضع كثيرة متعددة من التوراة والإنجيل ونبوات الأنبياء كما هو مبسوط في موضع آخر.

ومن قال إن ذكره موجود فيها أكثر من هذا وأصرح في بعض النسخ لا يمكن هؤلاء دفعه بأن يقولوا قد اطلعنا على كل نسخة في العالم بالتوراة والإنجيل في مشارق الأرض ومغاربها فوجدناها على لفظ واحد فإن هذا لا يقوله إلا كذاب فإنه لا يمكن بشرا أن يطلع على كل نسخة في مشارق الأرض ومغاربها كما لا يمكنه أن يغير كل نسخة في مشارق الأرض ومغاربها فلو لم يعلم اختلاف النسخ لم يمكنه الجزم باتفاقها في اللفظ فكيف وقد ذكر الناس المطلعون عليها من اختلاف لفظها ما تبين به كذب من ادعى اتفاق لفظها وكيف يمكن اتفاق لفظها وهي بلغات مختلفة.." (٢)

"ص -١٠٥- وضلوا عن سواء السبيل﴾.

وأما قولهم إن الصراط هو المذهب أي الطريق وهذه لفظة رومية لأن الطريق بالرومية اسطراطا.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٥/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٤/٤

فيقال لهم الصراط في لغة العرب هو الطريق يقال هو الطريق الواضح ويقال هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه ومنه الصراط المنصوب على جهنم وهو الجسر الذي يعبر عليه المؤمنون إلى الجنة وإذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم ويقال فيه معنى الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعة العبور عليه وفيه ثلاث **لغات** هي ثلاث قراءات الصراط والسراط والزراط وهي لغة عربية عرباء ليست من المعرب ولا مأخوذة من لغة الروم كما زعموا.

ويقال أصله من قولهم سرطت الشيء أسرطه سرطا إذا ابتلعته واسترطته ابتلعته فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود.

ومن أمثال العرب لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى من قولهم أعفيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته ويقال فلان يسترط ما يأخذ من الدين.

وحكى يعقوب بن السكيت الأخذ سريط والقضاء صريط والسرطاط الفالوذج لأنه يسترط استراطا وسيف سراطي أي قاطع فإنه ماض سريع المذهب في مضربه.

فالصراط: هو الطريق المحدود المعتدل الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع ولم يسم الله سبيل الشيطان سراطا بل سماها سبلا." (١)

"ص -٢٦٩- به المسيح كما لا يجوز أن يقال عصى آدم ويراد به المسيح وأيضا فإنه قال ها آدم قد صار كواحد منا هذه إشارة إلى أمر قد كان في الزمن الماضي ليس هو إشارة إلى ما سيكون بعد ذلك بألوف من السنين وإن أرادوا أن الله قال لابنه الذي هو كلمته وروحه وهذا هو مرادهم كقولهم إنه قال هذا القول يستهزئ بآدم أي أنه طلب أن يصير كواحد منا صار هكذا عريانا مفتضحا ويكون شبهتم قوله منا لأنه عبر بصيغة الجمع وكذلك إن أرادوا هذا بقوله نخلق بشرا على صورتنا وشبهنا فاحتجوا على التثليث بصيغة الجمع وهذا مما احتج به نصارى نجران على النبي فاحتجوا بقوله تعالى: إنا نحن قالوا وهذا يدل على أنهم ثلاثة وكان هذا من المتشابه الذي اتبعوه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وتركوا المحكم المبين الذي لا يحتمل إلا واحدا فإن الله في جميع كتب الإلهية قد بين أنه إله واحد وأنه لا شريك له ولا مثل له.

وقوله إنا نحن لفظ يقع في جميع **اللغات** على من كان له شركاء وأمثال وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء والله تعالى خلق كل ما سواه فيمتنع أن يكون له شريك أو مثل والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٢٧/٤

قال تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ وقال تعالى: ﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما﴾.

فإذا كان الواحد من الملوك يقول إنا ونحن ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين رب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول إنا ونحن مع أنه ليس له شريك ولا مثيل بل له جنود السماوات والأرض وأيضا فمن المعلوم أن آدم لم يطلب أن يصير مثل الله ولا مثل صفاته كعلمه وحياته وأيضا فليس في ظاهر اللفظ أن الله خاطب صفاته بتلك.

وأيضا فالصفة القائمة بالموصوف لا تخاطب ولا تخاطب وإنما يخاطب." (١)

"ص -٣٨٨- وتلك الألفاظ موجودة في كلام الأنبياء عليهم السلام لها معان أخر ويجعل تلك الألفاظ دالة على معانيه التي رآها ثم يجعل الألفاظ التي تكلمت بها الأنبياء وجاءت بها الكتب الإلهية أرادوا بها معانيه هو وهكذا فعل سائر أهل الإلحاد في سائر الكتب الإلهية كما فعلته النصارى مثل ما عمدت الملاحدة المتبعون لفلاسفة اليونان القائلون بأن هذه الأفلاك قديمة أزلية لم تزل ولا تزال وأن الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرها من الكتب الإلهية ولا هو عالم بالجزئيات لا بموسى بن عمران ولا بغيره ولا هو قادر أن يفعل بمشيئه ولا يقيم الناس من قبورهم فقالوا خلق وأحدث وفعل وصنع ونحو ذلك يقال على الإحداث الذاتي والإحداث الزماني.

فالأول: هو إيجاب العلة لمعلولها المقارن لها في الزمان.

والثاني: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن ثم قالوا ونحن نقول إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما وأحدث ذلك وأبدعه وصنعه كما أخبرت بذلك الأنبياء عليهم السلام لكن مرادهم بذلك الإحداث الذاتي وهو أن ذلك معلوم له لم يزل معه.

فيقال لهم لم يستعمل أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل ولا أحد من سائر الأمم لفظ الخلق والإحداث إلا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقا بعدمه ووجود غيره ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار في جميع لغات الأمم وأيضا فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا يجوز أن يكون معناه ما لا يعرفه إلا بعض الناس وهذا المعنى الذي يدعونه لو كان حقا لم يتصوره إلا بعض الناس فلا يجوز أن يكون اللفظ العام الذي تداوله العامة والخاصة موضوعا له إذا كان هذا يبطل مقصود اللغات ويبطل تعريف الأنبياء للناس فكيف وهو باطل في صريح المعقول كما هو باطل في صحيح المنقول فإنه لم يعرف أن أحدا قط عبر عن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١٧/٤

القديم الأزلي الذي لم يزل موجودا ولا يزال بأنه محدث أو مخلوق أو مصنوع أو مفعول فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح على الأنبياء عليهم السلام لتوهموا الناس أنكم." (١)

"ص -٤٠٣- عالما عزيزا فهذه المعاني التي ذكرناها تبطل اسم الأبوة والبنوة وفي إبطالها بطلان الشريعة التي تقول ولد من أبيه وإلا فإن كان الأب والابن متكافئين في القدم والقدرة فبأي فضل وسلطان للأب عليه أمره ونهاه فصار الأب باعثا والابن مبعوثا والأب متبوعا مطاعا والابن تابعا مطيعا.

ومما يشهد بصحة قولنا وبطلان ما تأوله أولوكم في عبودية المسيح أن متى التلميذ حين بنى كتابه الإنجيل أول ما ابتدأ به أن قال كتاب مولد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم فنسبه إلى من كان منه على الصحة ولم يقل إنه ابن الله ولا إنه إله من إله كما يقولون فإن قلتم: إن تسمية يسوع للناسوت الذي قد جعلتموه حجة بينكم وبين كل من التمس الحجة منكم عند الانقطاع فيما يعترف به للمسيح من العبودية فقد نسق متى على اسم يسوع الذي هو عندكم اسم للناسوت المسيح الذي هو جامع الناسوت واللاهوت فأي حجة في إبطال هذا التأويل أوضح من هذا.

ومما يصحح قولنا ويؤكده قول جبريل الملك لمريم عند مخاطبته إياها إنه ابن داود على ما ثبت من ذلك في الإنجيل.

قال ووجدناكم قد ذكرتم في شريعة الإيمان أن يسوع المسيح بكر الخلائق فإن كنتم ذهبتم في ذلك إلى أنه على نحو ما يسمى أول ولد الرجل وكبيرهم فجائز وهو محقق لقولنا في عبوديته وإن كنتم أردتم بذكر البكر أنه أول قديم فلسنا نعرف للبكر معنى في لغة من اللغات إلا للأكبر من الإخوة والأول من الولد وبكر الخلائق لا يكون إلا من الخلائق.

كما أن بكر الرجل والمرأة لا يكون إلا من جنسهما وباكورة الثمار لا تكون إلا ثمرة ولأن من المحال أن يقول قائل بكر ولد آدم ملك من الملائكة وكذلك من المحال أن يكون بكر المصنوعات ليس بمصنوع وبكر المخلوقات ليس بمخلوق.

وقد قال الله تعالى في التوراة يا ابني بكري أي إسرائيل وقال في موضع." (٢)

"ص -٤٩٦- من جنس العلم والكلمة والعمل الصالح.

وإن أردتم بالعقل الغريزة التي في الإنسان فهو أيضا عرض.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤٦٨

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤٨٧

الخامس: أن تسميتكم تكلم الإنسان بالمعنى أو اللفظ تولدا أمر اخترعتموه لا يعرف عن نبي من الأنبياء ولا أمة من الأمم ولا في لغة من **اللغات**.

وإنما ابتدعتم هذا لتقولوا إذا كان كلام الإنسان متولدا منه فكلام الله متولد منه.

ولم ينطق أحد من الأنبياء بأن كلام الله تولد منه ولا أنه ابنه ولا أن علمه تولد منه ولا أنه ابنه

السادس: قولكم إن كلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في القرطاس فهي في القرطاس كلها حقا من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت إلى قولكم الكلمة كلها في العقل الذي ولدها وكلها في القرطاس الذي التحمت به مكابرة ظاهرة معلومة الفساد بصريح العقل فإن وجود الكلام في القلب واللسان ليس هو عين وجوده مكتوبا في القرطاس بل القائم بقلب المتكلم معان طلب وخبر وعلم وإرادة والقائم بنفسه حروف مؤلفة هي أصوات مقطعة أو هي حدود أصوات مقطعة وليس في قلب الإنسان ولا فمه مداد كالمداد الذي في القرطاس.

والكلام مكتوب في القرطاس باتفاق العقلاء مع علمهم بأنه ليس في القرطاس علم وطلب وخبر قائم به كما تقوم بقلوب المتكلم ولا قام به أصوات مقطعة مؤلفة ولا حروف كالأصوات القائمة بفم المتكلم بل لفظ الحرف يقال على الحرف المكتوب إما المداد المصور وأما صورة المداد وشكله ويقال على الحرف المنطوق إما الصوت المقطع وأما حد الصوت ومقطعة وصورته.

وكل عاقل يميز بحسه وعقله بين الصوت المسموع من المتكلم وبين المداد المرئي بالبصر ولا يقول عاقل إن هذا هو هذا ولا يقال إن هذا وهذا هو نفس المعنى القائم بقلب المتكلم فكيف تقولون إن الكلمة في القرطاس كلها وكلها في العقل الذي ولدها وكلها في نفسها

السابع: أن حرف في التي يسميها النحاة ظرفا يستعمل في كل موضع بالمعنى." (١)

"ص -٥٨٠- متولد عنها وإنما يقال إن قيل فيما ليس بقائم بها بل قائم بغيرها أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن كالشعاع القائم بالأرض والحيطان وهذا ليس بقائم بها بل قائم بغيرها هو حادث متولد عن أصلين لا عن أصل واحد.

فأما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له فلا يقول أحد من العقلاء إنها متولدة عنه.

والنصارى يزعمون أن كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفا بها.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٩٤

ويقولون مع ذلك إن الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الأزلي متولدا عنه ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه.

وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم فإنه أنواع كثيرة فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته يقال إنها ابنه وولده ومتولد عنه ونحو ذلك فتكون حياته أيضا ابنه وولده ومتولدا عنه وإن لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولدا عنه.

وأبلغ من ذلك أن روح القدس المنفصلة عنه القائمة بالأنبياء والصديقين لايقولون إنها ولده ولا إنها متولدة عنه بل يخصون ذلك بالكلمة فلا ينقلون عن أحد من الأنبياء أنه سمى شيئا من صفات الله ابنا ولا ولدا ولا قال إن علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه.

فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون للكتب الإلهية كلها ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية ومخالفون لجميع لغات الآدميين وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا تولدت الكلمة عنه كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل.

فيقال لهم لو قدر أن الأنبياء سموا ذلك تولدا فما يتولد فينا حادث بعد أن لم يكن وحدوثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا.

فاما صفاتنا اللازمة لنا التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها فلا." (١)

"ص -٥٨١- يقول عاقل إنها متولدة فينا وعنا.

وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له التي لم يزل ولا يزال متصفا بها متولدة عنه.

فلو قدر أن ما ذكرتموه من التولد العقلي أمرا معروفا في اللغة والعقل والشرع لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابنا له ومولودا منه لم يزل مولودا منه لأن هذا باطل عقلا وشرعا ولغة.

اما العقل فإن صفة الموصوف اللازمة له وإن كان مخلوقا ليست متولدة عنه فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم.

ولو جاز هذا جاز أن يجعل ما كان لازما لغيره ولدا له ومولودا منه فيجعل كيفيات الأشياء وكمياتها متولدة عنها وأمثالها.

ويقال إن طول الجسم وعرضه وعمقه متولد عنه وإن حياة الحي متولدة عنه وإن القوى والطبايع التي جعلها الله في المخلوقات متولدة عنها.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٢/٥

وأما الشرع فإن هذا لو كان متولدا وهو في بعض **اللغات** يسمى ولدا لم يجز أن يحمل على ذلك كلام الأنبياء إلا أن يكون في لغتهم يسمى ولدا.

وكل من نظر في كتب الأنبياء من علماء النصارى وغيرهم لم يجد أحدا من الأنبياء يسمى علم الله وكلمته وحياته ولدا له ولا ابنا له ولا قال إن ذلك يتولد عنه.

فقولهم عن المسيح عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس أنه أراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية وأنها متولدة منه وأنه أراد بروح القدس حياة الله القديمة الأزلية كذب محض على المسيح عليه السلام لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سموا علم الله وحكمته ولا شيئا من صفاته القائمة به ابنا ولا سموا حياته روح القدس.

وأما اللغة فإن هذا التعبير الذي ذكروا وهو تسمية صفات الموصوف اللازمة له ولدا وابنا ومتولدا لا يعرف في **لغات** بني آدم المعروفة.." (١)

"ص -٥٨٣- الأمم أهل **اللغات** سوى مبتدعة النصارى ولم يبق للتولد إلا معنيان أحدهما أن ينفصل عنه جزء والثاني أن يحدث عنه شيء إما باختياره وأما بغير اختياره وقدرته كحدوث الشعاع عن النار والشمس.

وكل من الأمرين لا يكون إلا عن أصلين ولا بد أن يكون حادثا لا يكون من صفاته اللازمة له فيمتنع أن يتولد عنه شيء إن لم يكن معه أصل آخر يتولد عنهما.

والتولد عنه بغير قدرته ومشيئته ممتنع عند أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى وسائر الأمم سوى طائفة من المتفلسفة يقولون إنه موجب بذاته مستلزما لما يصدر عنه فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد.

والنصارى تكفر هؤلاء لكن قد ضاهوهم في القول كما قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾.

وهذا قاله طائفة من اليهود وهو معروف عن شخص يقال له فنحاص بن عازورا وأتباعهقال أبو محمد بن حزم والصدوقية طائفة من اليهود نسبوا إلى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود إن العزير بن الله وكانوا بجهة اليمن.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٣/٥

ولكن المتفلسفة الذين يقولون بصدور العقول والأفلاك عنه وإن سمي ذلك تولدا فهم يجعلون ولده منفصلا عنه لكن يثبتون ولدا قديما أزليا صدر عنه بغير اختياره ويجعلون الشيء الواحد متولدا عنه.." (١)

"ص -٥٨٤- وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولدا جعلوه حادثا منفصلا عنه.

فأما جعل صفته القائمة به ولدا له ومولودا فهذا لا يعرف عن غير النصارى فإذا أثبتوا له ولدا وابنا غير مخلوق والصفة القائمة به اللازمة له لم تتولد عنه ولا تسمى ابنا ولا ولدا عند أحد من الأنبياء وغيرهم تعين أن يكون الولد إما جزءا منفصلا عنه وأما معلولا له صادرا عنه بغير قدرته ومشيئته وأي القولين قالوه فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبلوبعض علمائهم وإن أنكر ذلك لكنهم يقولون ما يستلزم ذلك ويشبهونه بالشعاع من الشمس ويقولون عن الروح هو منبثق من الله خارج منه.

وهذا كله يناسب الولادة التي هى خروج شيء منه أو حدوث شيء عنه بغير اختياره ومشيئته ولا بد له مع ذلك من محل يقوم به فإن الشعاع لا يقوم إلا بالأرض.

والأمر المنبثق الخارج من غيره إما أن يكون جوهرا قائما بنفسه أو صفة قائمة بغيرها.

فإن كان ﺟوهرا فقد انفصل من الرب جزء.

وإن كان عرضا فلا بد له من محل فيكون متولدا عن أصلين.

وتشبيههم بتولد الكلام عن العقل تشبيه باطل فإن ذلك يحصل بقدرة الإنسان ومشيئته وهو حادث بعد أن لم يكن.

هذا إذا عرف أن ما يقوم بقلب الإنسان من علم وحكمة يقال إنه يتولد عنه ويقال إنه ابنه مع أن هذا أمر غير معروف في **اللغات** ولو كان معروفا في لغة بعض الأمم لم يجز أن يفسر به كلام الأنبياء إن لم يكن معروفا في لغتهم.

وأما ما يدعونه فإنهم يقولون إن الكلمة لازمة لذات الله أزلا وأبدا وهي مولودة منه مع أنها غير مصنوعة فهذا كلام متناقض باطل من وجوه:

فإن المتولد عن الشيء لا يتولد إلا عنه وعن غيره وأما الشيء الواحد فلا يتولد عنه وحده شيء وأيضا فإن ما تولد عن غيره لم يكن حادثا وأما الصفة القديمة اللازمة لذات الرب فليست مولودة له ولا متولدة عنه بل

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٦/٥

هي قائمة به لازمة لذاته.

وأيضا فإن المولود اسم مفعول يقال ولده يلده فهو مولود وهذا لا يقال إلا." (١)

" دارا حسنة على أساس مغصوب فلما جاء صاحب الأساس ونازعه في الاساس وقلعه انهدمت تلك الدار

وذلك كالفروع العظيمة المذكورة في كتاب الأيمان وبناها على ما كان المفرع يعتقده من مذهب أهل النحو الكوفيين فإن أصل باب الأيمان الرجوع إلى نية الحالف وقصده ثم إلى القرائن الحالية الدالة على قصده كسبب اليمين وما هيجها ثم إلى العرف الذي من عادته التكلم به سواء كان موافقا للغة العربية أو مخالفا لها فإن الأيمان وغيرها من كلام الناس بعضهم لبعض في المعاملات والمراسلات والمصنفات وغيرها تجمعها كلها دلالة اللفظ على قصد المتكلم ومراده وذلك متنوع بتنوع اللغات والعادات

وتختلف الدلالة بالقرائن الحالية والمقالية ثم إنما يستدل على مقصود الرجل إذا لم يعرف فإذا أمكن العلم بمقصوده يقينا لم يكن بنا حاجة إلى الشك لكن من الأمور ما لا تقبل من قائله إرادة تخالف الظاهر كما إذا تعلق به حقوق العباد كما في الأقارير ونحوها وهذا مقرر في موضعه وليس الغرض هنا إلا التمثيل

وإذا كان هذا أصل الأيمان فيقال لذلك المفرع إذا كان هذا أصل قصده الذي هو في أكثر المواضع يخالف مقتضى ما ذكرته من ." (٢)

"ص -٥١٩- كراهة أن يتعود المسلم النطق بغير العربية

فما قاله أحمد من كراهة هذه الأسماء له وجهان:-

أحدهما: إذا لم يعرف معنى الاسم، جاز أن يكون معنى محرما، فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه، ولهذا كرهت الرقى العجمية، كالعبرانية، أو السريانية، أو غيرها، خوفا أن يكون فيها معان لا تجوز.

وهذا المعنى هو الذي اعتبره إسحاق لكن إن علم أن المعنى مكروه فلا ريب في كراهته وإن جهل ف أحمد كرهه، وكلام إسحاق يحتمل أنه لم يكرهه.

الوجه الثاني: كراهته أن يتعود الرجل النطق بغير العربية فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الأدعية، التي في الصلاة والذكر، أن يدعى الله، أو يذكر بغير العربية.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٧/٥

(٢) الاستقامة، ١٠/١

وقد اختلف الفقهاء في أذكار الصلوات: هل تقال بغير العربية؟ وهي ثلاث درجات – أعلاها القرآن، ثم الذكر الواجب غير القرآن، كالتحريمة بالإجماع، وكالتحليل، والتشهد عند من أوجبهما، ثم الذكر غير الواجب، من دعاء أو تسبيح أو تكبير أو غير ذلك.

فأما القرآن: فلا يقرؤه بغير العربية، سواء قدر عليها أو لم يقدر عند." (١)

"الله خالق كل شيء، [ومليكه] (١) ، وأن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأنه خلق السماوات والأرض، وما بينهما، فحدثت [هذه] (٢) المخلوقات بعد أن لم تكن.

وإذا كان كذلك حصل لنا علم بمراد الأنبياء وجماهير العقلاء بهذه العبارات، واستفدنا بذلك (٣) أن من قصد بها غير هذا المعنى لم يكن موافقا لهم في المراد بها، فإذا ادعى أن مرادهم هو مراده في كونها ملازمة للرب أزلا وأبدا، علم أنه كاذب على الأنبياء وجماهير (٤) العقلاء كذبا صريحا.

كما يصنعون مثل ذلك في لفظ (الإحداث) ، فإن الإحداث معناه معقول عند الخاصة والعامة، وهو مما تواتر معناه في اللغات كلها، وهؤلاء جعلوا لهم وضعا (٥) مبتدعا، فقالوا: الحدوث يقال: على وجهين: أحدهما: زماني، ومعناه حصول الشيء بعد أن لم يكن له وجود في زمان سابق، والثاني: أن لا يكون الشيء مستندا إلى ذاته (٦) ، بل إلى غيره سواء كان ذلك الاستناد مخصوصا بزمان معين، أو كان مستمرا في [كل] (٧) الزمان قالوا: وهذا هو الحدوث (٨) الذاتي.

---

(١) ومليكه: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٢) هذه: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٣) أ، ب: ومستندنا لذلك.

(٤) ن، م: وجمهور

(٥) ن: لفظا ؛ م: وصفا.

(٦) ب: أن لا يكون للشيء مستند إلى ذاته ؛ أ: أن لا يكون للشيء مستندا إلى ذاته.

(٧) كل: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٨) ن، م: الحادث.." (٢)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١١/٤٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢٧٦

"والمرجئة، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون (١) كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع (٢) .

ثم إنه في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية (٣) حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات، وكان أول من أظهر ذلك (٤) الجعد بن درهم، فطلبه خالد بن عبد الله القسري فضحى به بواسط، فخطب الناس يوم النحر وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه (٥) .

ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان، ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة، وهؤلاء أول من عرف عنهم في الإسلام أنهم أثبتوا حدوث

---

(١) ا، ب: . . . عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان. . إلخ.

(٢) ن، م: واثلة بن الأسقع، وهو خطأ. قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات، القسم الأول، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٤٣: توفي بدمشق سنة ست أو خمس وثمانين.

(٣) ن، م: الثالثة، وهو خطأ.

(٤) ن: ظهر ذلك عنه؛ ا: ظهر ذلك.

(٥) كان الجعد بن درهم من الموالي وكان مؤدبا لمروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - ولكنه أظهر القول بخلق القرآن بعد أن أخذه -كما يحدثنا ابن نباتة - عن إبان بن سمعان وأخذه هذا عن طالوت بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي - صلى الله عليه وسلم -. وقد أمر هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري واليه على الكوفة بقتل الجعد لذلك ولقوله بالقدر. انظر جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة: سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون (تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم) ، ص [٠ - ٩] ٩٣ - ٢٩٤، القاهرة، ١٩٦٤/١٣٨٣؛ جمال الدين القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٢٧ - ٢٨، القاهرة ١٣٣١؛ لسان الميزان ١٠٥/٢؛ ميزان الاعتدال ١٨٥/١؛ الكامل لابن الأثير ١٦٠/٥؛ الأعلام ١٤١/٢.." [1]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٠٩/١

"كان أمير (١) الشيعة، وقتل عبيد الله (٢) بن زياد، وأظهر الانتصار للحسين حتى قتل قاتله، وتقرب بذلك إلى محمد بن الحنفية (٣) وأهل البيت، ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «سيكون في ثقيف كذاب ومبير» (٤) " فكان الكذاب هو المختار بن أبي

---

(١) أ، ب: أمين.

(٢) ن: عبد الله، وهو خطأ.

(٣) انظر ترجمته فيما سبق ١٢/١ (ت [٠ - ٩]) . وانظر ترجمته أيضا في: تهذيب الأسماء **واللغات** للنووي (ط. المنيرية) ق [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٨ - ٨٩ ؛ طبقات ابن سعد ٩١/٥ - ١١٦ ؛ الجرح والتعديل ج [٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٦ ؛ الأعلام للزركلي ١٥٢/٧ - ١٥٣.

(٤) أورد مسلم في صحيحه ١٩٧١/٤ - ١٩٧٢ في (كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها) حديثا طويلا جاء فيه أن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت للحجاج: " أما إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها ". وفي المسند (ط. المعارف) ١٨/٧ (حديث رقم ٤٧٩٠) عن ابن عمر: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن في ثقيف مبيرا وكذابا ". وقال النووي (شرح مسلم ١٠٠/١٦) : " والمبير المهلك ".." [١]

"بن المنذر (١) ومحمد بن جرير الطبري وأصحابهم.

والجهمية والمعتزلة يقولون: من أثبت لله الصفات، وقال: إن الله يرى في الآخرة، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، فإنه مجسم مشبه، والتجسيم باطل. وشبهتهم في ذلك أن الصفات أعراض لا تقوم إلا بجسم، وما قام به الكلام وغيره من الصفات لا يكون إلا جسما، ولا يرى إلا ما هو جسم أو قائم بجسم.

ولهذا صار مثبتة الصفات معهم ثلاث طوائف: طائفة نازعتهم في المقدمة الأولى، وطائفة نازعتهم في المقدمة الثانية، وطائفة نازعتهم نزاعا مطلقا في واحدة من المقدمتين، ولم تطلق في النفي والإثبات ألفاظا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٩/٢

مجملة مبتدعة لا أصل لها في الشرع، ولا هي صحيحة في العقل، بل اعتصمت بالكتاب والسنة وأعطت العقل حقه، فكانت موافقة لصريح المعقول، وصحيح المنقول.

فالطائفة الأولى الكلابية ومن وافقهم، والطائفة الثانية الكرامية ومن وافقهم.

فالأولى قالوا: إنه تقوم به (٢) الصفات، ويرى في الآخرة، والقرآن

---

(١) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري شيخ الحرم فقيه مجتهد من الحفاظ صنف في اختلاف العلماء كتبا لم يصنف مثلها. ولد سنة ٢٤٢ وتوفي سنة ٣١٨ - على الأرجح - انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٣٤٤/٣ ؛ تهذيب التهذيب واللغات للنووي، ق [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٩٦ - ١٩٧ ؛ لسان الميزان ٢٧/٥ - ٢٨ ؛ تذكرة الحفاظ ٧٨٢/٣ - ٧٨٣ ؛ طبقات الشافعية ١٠٢/٣ - ١٠٨ ؛ الأعلام للزركلي ١٨٤/٦.

(٢) أ: قالوا: يقول إنه تقوم به، وهو تحريف.." [(١)]

"بن زيد (١) ومحمد بن الحسن (٢) وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء *) (٣) ولا بد للدعوى من دليل.

[التعليق على قوله ولا في مكان]

وكذلك قوله: " ولا (٤) في مكان " (٥) .

فقد يراد بالمكان (٦) ما يحوي الشيء ويحيط به (٧) ، [وقد يراد به ما يستقر الشيء عليه بحيث يكون محتاجا إليه، وقد يراد به ما كان الشيء فوقه وإن لم يكن محتاجا إليه] (٨) ، وقد يراد به ما فوق [العالم] (٩) وإن لم يكن شيئا موجودا.

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل، شيخ العراق في عصره، ولد بالبصرة سنة ٩٨ وتوفي بها سنة ١٧٩. ترجمته في: تهذيب التهذيب ٩/٣ - ١١ ؛ تذكرة الحفاظ ٢١٢/١ ؛ تهذيب الأسماء واللغات ١٦٧/١ - ١٦٨ ؛ الأعلام ٣٠١/٢.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٠٧/٢

(٢) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، أبو عبد الله، من أئمة الحنفية وهو الذي نشر علم أبي حنيفة، ولد سنة ١٣١ وتوفي سنة ١٨٩. ترجمته في: الجرح والتعديل ج] ٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٢٧ ؛ لسان الميزان ١٢١/٥ - ١٢٢ ؛ وفيات الأعيان ٣٢٤/٣ - ٣٢٥ ؛ تاريخ بغداد ١٧٢/٢ - ١٨٢ ؛ طبقات ابن سعد ٣٣٦/٧ - ٣٣٧، الأعلام للزركلي ٣٠٩/٦.

(٣) هذا المعنى الذي قصدت نفيه. . وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء: هنا ينتهي السقط في نسخة (ن) وقد بدأ ص ١٣٥. ويبدأ الكلام في (ن) بعد هذا السقط كما يلي: قيل له: لا بد للدعوى من دليل. . إلخ.

(٤) ن، م: لا.

(٥) وردت هذه العبارة - كما أشرت من قبل - في " منهاج الكرامة " ٨٢ (م) ، وفي هذه الطبعة من " منهاج السنة " ٩٨/٢ - ١٠٢.

(٦) ن، م: بالجسم، وهو تحريف.

(٧) ن، م: ويختلط به.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٩) العالم: ساقطة من (ن) ، (م) .." [١]

"بالاضطرار من دين محمد - صلى الله عليه وسلم - بطلان هذا القول، لكن الجهل لا حد له، وهو هنا لم يذكر حجة غير حكاية المذهب فأخرنا الرد إلى موضعه.

[الرد على قوله وأخذوا أحكامهم الفروعية عن الأئمة المعصومين]

وأما قوله (١) .: " وأخذوا أحكامهم (٢) . الفروعية عن الأئمة المعصومين، الناقلين عن جدهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣) . ". . . إلى آخره.

فيقال: أولا: القوم المذكورون إنما كانوا يتعلمون حديث جدهم (٤) . من العلماء به كما يتعلم سائر المسلمين، وهذا متواتر عنهم. فعلي بن الحسين (٥) . يروي تارة عن أبان بن عثمان بن عفان (٦) . عن (٧) : أسامة بن زيد قول ب (٨) . النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» " رواه البخاري ومسلم في [الصحيحين (٩) .، وسمع من أبي هريرة

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٤/٢

(١) الكلام التالي في (ك) ٨٣/١ (م) ، وسبق وروده في هذا الجزء، ص [٠ - ٩] ٩

(٢) ك: الأحكام

(٣) ك: صلى الله عليه وآله

(٤) ب: يتعلمون الحديث ؛ أ: يتعلمون حديث (وسقطت كلمة: جدهم)

(٥) سبقت ترجمته ٨٣/٢ (ت [٠ - ٩])

(٦) أبان بن عثمان بن عفان، أبو سعيد، المتوفى سنة ١٥١. قال ابن سعد: " روى أبان عن أبيه، وكان ثقة وله أحاديث ". ترجمته في: طبقات ابن سعد ١٥١/٥ - ١٥٣ ؛ الجرح والتعديل، ج [٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٩٥ ؛ تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ق [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٧ ؛ الخلاصة للخزرجي، ص [٠ - ٩] ٣

(٧) ن، م: وعن، وهو تحريف

(٨) ، ا: مولى

(٩) الحديث رواه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه البخاري في ثلاثة مواضع: ١٤٧/٢ - ١٤٨ (كتاب الحج، باب توريث دور مكة) ، ١٤٧/٥ (كتاب المغازي، باب أين ركز النبي - صلى الله عليه وسلم - الراية يوم الفتح) ، ١٥٦/٨ (كتاب الفرائض، باب لا يرث الكافر المسلم) . وهو مروي أيضا في مسلم ١٢٣٣/٣ (أول كتاب الفرائض) . وفي سند الحديث في هذه المواضع جميعا: عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد. وعمرو بن عثمان هو شقيق أبان، وانظر طبقات ابن سعد ١٥٠/٥ - ١٥١. والحديث في سنن أبي داود ٢٨٦/٣ - ٢٨٧ (كتاب الفرائض، باب ١٤) ؛ سنن ابن ماجه ٩١١/٢ - ٩١٢ (كتاب الفرائض: باب ميراث أهل الإسلام من أهل الكفر)." (١)

"(* والفقهاء أهل الظاهر كداود بن علي وأتباعه (١) ، وطائفة من أهل البيت (٢) والصوفية لا يقولون بالقياس *) (٣) .

وحينئذ فإن كان القياس باطلا أمكن الدخول في [السنة وترك القياس، وإن كان حقا أمكن الدخول في] (٤) أهل السنة والأخذ بالقياس.

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٥٤/٢

الثالث: أن يقال: القول بالرأي والاجتهاد والقياس والاستحسان خير من الأخذ بما ينقله من يعرف بكثرة الكذب عمن يصيب ويخطئ نقل غير مصدق (٥) عن قائل غير معصوم، ولا يشك عاقل أن رجوع مثل مالك وابن أبي ذئب (٦) وابن الماجشون (٧) (٨) والأوزاعي (٩)

---

(١) قال الظاهرية بإنكار القياس، وأشهر من يمثلهم في ذلك ابن حزم وقد أفرد رسالة لهذا الموضوع عنوانها " ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل " نشرها الأستاذ سعيد الأفغاني، دمشق ١٣٧٩/١٩٦٠ ؛ كما تناول الموضوع بالتفصيل في كتابه " الإحكام في أصول الأحكام ".

(٢) ن، م: أهل الحديث: وتنص المراجع التي سبق ذكرها في الصفحة السابقة (ت [٠ - ٩]) على إنكار الشيعة للقياس، وهو ما ذكره أيضا الغزالي في " المستصفى "، ص [٠ - ٩] ٦٢ (ط. مصطفى محمد، ١٣٥٦/١٩٣٧) . وانظر الإمام الصادق، لأبي زهرة، ص [٠ - ٩] ١٥ وما بعدها.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من (ب) ، (أ) .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٥) ن، م: غير صدق.

(٦) أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي المدني، تابعي قال عنه أحمد بن حنبل: "كان أفضل من مالك إلا أن مالكا كان أشد تنقية للرجال منه ". وولد ابن أبي ذئب سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٨ أو ١٥٩. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/١٩١ - ١٩٣ ؛ تهذيب الأسماء واللغات، ق [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٦ - ٨٧ ؛ وفيات الأعيان ٣/٣٢٣ ؛ الأعلام ٧/٦١.

(٧) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، أبو عبد الله الماجشون، سبقت ترجمته ٢ والليث بن سعد

(٨) سبقت ترجمته ٢/٤٦١.

(٩) سبقت ترجمته ٢/٤٦١.." [١]

"كان رجوعه [إلى اجتهاده أولى من رجوعه] (١) إلى فتيا أحدهما، بل ذلك هو الواجب عليه، فكيف إذا كان [ذلك] (٢) نقلا عنهما من مثل الرافضة؟ ! والواجب على مثل العسكريين وأمثالهما أن يتعلموا من الواحد من هؤلاء.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٤٧٠

ومن المعلوم أن علي بن الحسين وأبا جعفر [محمد بن علي وابنه] (٣) جعفر بن محمد (٤) كانوا هم العلماء الفضلاء، وأن من بعدهم [من الاثني عشر] (٥) لم يعرف عنه من العلم ما عرف من (٦) هؤلاء، ومع هذا فكانوا يتعلمون من علماء زمانهم ويرجعون إليهم [حتى قال أبو عمران بن الأشيب (٧) القاضي البغدادي: أخبرنا أصحابنا أنه ذكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن (٨) جعفر بن محمد (٩) وأنه تعلم العلوم، فقال ربيعة: إنه

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٢) ذلك: ساقطة من (ع) ، (ن) ، (م) .

(٣) ما بين المعقوفتين في (ع) فقط.

(٤) ن، م: وابنا جعفر وجعفر بن محمد.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة في (ع) فقط.

(٦) ب (فقط) : عن.

(٧) أبو عمران بن الأشيب: كذا هي في (ع) بدون نقط ولم أعرف من يكون.

(٨) أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ ويعرف بربيعة الرأي. قال الذهبي: كان إماما حافظا فقيها مجتهدا بصيرا بالرأي. وقد توفي ربيعة سنة ١٣٦. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/١٥٧ - ١٥٨ ؛ الجرح والتعديل، ج [٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٧٥ ؛ تهذيب الأسماء **واللغات**، ق [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٨٩ - ١٩٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ - ٥٢ ؛ الأعلام ٣/٤٢.

(٩) في الأصل (ع) : ابن جعفر بن محمد، وهو خطأ، والمقصود جعفر (الصادق) بن محمد، ولا يجوز أن يكون المقصود موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) لأن موسى ولد سنة ١٢٨ قبل وفاة ربيعة بثمان سنين.." (١)

"ولهذا سأل الوليد بن عبد الملك عن ذلك بعض (١) العلماء، فقالوا له (٢) : يا أمير المؤمنين، أنت أكرم على الله أم داود، وقد قال له: ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٣/٢

الحساب﴾ [سورة ص: ٢٦] .

وكذلك سؤال سليمان بن عبد الملك عن ذلك لأبي حازم المدني (٣) في موعظته المشهورة [له] (٤) فذكر له هذه الآية.

ومع خطأ هؤلاء وضلالهم فكانوا يقولون (٥)] ذلك في طاعة إمام منصوب (٦) قد أوجب الله طاعته في موارد الاجتهاد، كما يجب طاعة والي

---

(١) بعض: في (ع) فقط.

(٢) ع: العلماء فقال، وهو خطأ.

(٣) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج المخزومي المدني، مولى الأسود بن سفيان، من الثقات، روى له البخاري ومسلم، وقد اشتهر بالزهد والورع، وكانت وفاته سنة ١٤٠. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٣٣/١ - ١٣٤ ؛ الجرح والتعديل، ج[٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٥٩ ؛ تهذيب الأسماء **واللغات**، ق [٠ - ٩] ١ ج[٠ - ٩] ص [٠ - ٩] ٠٧ - ٢٠٨ ؛ تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ - ١٤٤ ؛ المعارف لابن قتيبة (ط. دار الكتب) ، ص [٠ - ٩] ٧٩ ؛ حلية الأولياء ٢٢٩/٣ - ٢٥٩ ؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر (ط. دمشق) ، ٢١٦/٦ - ٢٢٨ ؛ صفة الصفوة (ط. حيدر آباد، ١٣٥٥) ٨٨/٢ - ٩٤ ؛ الأعلام ١٧١/٣ - ١٧٢.

(٤) له: في (ع) فقط. وقد ذكرت هذه الموعظة في أكثر من كتاب. انظر: سنن الدارمي (ط. دمشق، ١٣٤٩) ١٥٥/١ - ١٥٨ ؛ حلية الأولياء ٢٣٤/٣ - ٢٣٧ ؛ ابن عساكر ٢١٨/٦ - ٢٢٢ ؛ صفة الصفوة ٨٩/٢ - ٩٠. ولم أجد في الموعظة الواردة في هذه المراجع ذكرا للآية ٢٦ من سورة ص.

(٥) هنا نهاية السقط في (ن) ، (م) .

(٦) ب، ا: معصوم، وهو خلاف المقصود.." (١)

"امتزاج، وإما غير امتزاج كتركيب الأطعمة والأشربة والأدوية والأبنية واللباس من أجزائها. ومعلوم نفي هذا التركيب عن الله، ولا نعلم عاقلا يقول إن الله تعالى مركب بهذا الاعتبار.

وكذلك التركيب بمعنى أنه مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة - وهو التركيب الجسمي عند من يقول به (١) - وهذا أيضا منتف عن الله تعالى. والذين قالوا: إن الله جسم، قد يقول بعضهم: إنه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٧/٢

مركب هذا التركيب، وإن كان كثير منهم - بل أكثرهم - ينفون ذلك، ويقولون: إنما نعني بكونه جسما أنه موجود أو أنه (٢) قائم بنفسه، أو أنه يشار إليه، أو نحو ذلك. لكن بالجملة هذا التركيب وهذا التجسيم يجب تنزيه الله تعالى (٣) عنه.

وأما كونه سبحانه ذاتا (٤) مستلزمة لصفات الكمال، له علم وقدرة وحياة فهذا لا يسمى مركبا (٥) فيما يعرف من اللغات. وإذا سمى مسم (٦) هذا مركبا (٧) لم يكن النزاع معه في اللفظ، بل في المعنى العقلي. ومعلوم أنه لا دليل على نفي هذا، كما قد بسط في موضعه، بل الأدلة العقلية توجب إثباته.

---

(١) عبارة " عند من يقول به " في (ع) فقط.

(٢) أنه ساقطة من (ب) ، (أ) .

(٣) ب، أ: تنزيه الرب.

(٤) ع، أ: ذات.

(٥) ع: تركيبا.

(٦) ع، أ: مسمى.

(٧) ع: تركيبا.." [١]

"فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو نقلوا عنه، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد (١) . وقد قال الشافعي: من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة (٢) .

ومقاتل بن سليمان، وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث - بخلاف مقاتل بن حيان (٣) فإنه ثقة - لكن لا ريب (٤) في علمه بالتفسير وغيره واطلاعه (٥) ، كما أن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء

---

(١) علق مستجي زاده في هامش (ع) بقوله: " قلت: لكن الخطيب البغدادي ذكر عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بإسناده: هذان رجلان خبيثان: أعني جهم بن صفوان ومقاتل بن سليمان، أفرط جهم في التنزيه فجعله تعالى لا من قبيل معنى من المعاني فوقع في التعطيل، وأفرط مقاتل في التشبيه حتى جعل له

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٣٩/٢

تعالى لحما ودما وشعرا وعظما، انتهى. فالذي ذكره الخطيب عن أبي حنيفة في شأن مقاتل هو الموافق لما نقله الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه في شأن مقاتل ".

(٢) في وفيات الأعيان ٣٤١/٤ في ترجمة مقاتل بن سليمان: " حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام ".

(٣) ب، أ: مقاتل بن حبان، وهو خطأ. وهو عالم خراسان الحافظ أبو بسطام - وقال ابن سعد: أبو معان - مقاتل بن حيان البلخي الخزاز. قال الذهبي: "كان إماما صادقا ناسكا خيرا كبير القدر صاحب سنة واتباع، هرب في أيام خروج أبي مسلم الخراساني إلى كابل ودعا خلقا إلى الإسلام فأسلموا. وثقه يحيى بن معين وأبو داود، وقال النسائي: ليس به بأس ". وانظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١٧٤/١ ؛ طبقات ابن سعد ٣٧٤/٧ ؛ تهذيب الأسماء **واللغات** للنووي، ق [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ١٠ - ١١١ ؛ الجرح والتعديل، ج [٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٥٣ - ٣٥٤.

(٤) ن، م: ثقة، ولا ريب.

(٥) أبو الحسن بن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي بالولاء، البلخي، الخراساني، المروزي. أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها. ذكره الذهبي في آخر ترجمة ابن حيان (تذكرة الحفاظ ١٧٤/١) فقال: " فأما مقاتل بن سليمان المفسر فكان في هذا الوقت، وهو متروك الحديث، وقد لطخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرا من التفسير ". وقد توفي بالبصرة سنة ١٥٠. وانظر ترجمته في: الجرح والتعديل، ج [٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٥٤ - ٣٥٥ ؛ تهذيب الأسماء **واللغات**، ق [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ١١، طبقات ابن سعد ٣٧٣/٧ ؛ تهذيب التهذيب ٢٧٩/١٠ - ٢٨٥ ؛ ميزان الاعتدال ١٩٦/٣ - ١٩٧ ؛ تاريخ بغداد ١٦٠/١٣ - ١٦٩ ؛ وفيات الأعيان ٣٤١/٤ - ٣٤٣ ؛ الفهرست لابن النديم، ص [٠ - ٩] ٧٩ (ذكره ضمن الزيدية فقال: من الزيدية والمحدثين والقراء) ؛ الأعلام ٨ (ونقل عن مخطوطة " قبول الأخبار " للبلخي عن الكلبي أنه قال: كذب على مقاتل في التفسير) ؛ سزكين م [٠ - ٩] ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٥ - ٨٧. وأما عن مذهبه في التجسيم والإرجاء فقد قال ابن حزم ٥: " وقال مقاتل بن سليمان وكان من كبار المرجئة: لا يضر مع الإيمان سيئة جلت أو قلت أصلا، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلا. وكان مقاتل هذا مع جهم بخراسان في وقت واحد

وكان يخالفه في التجسيم. . وكان مقاتل يقول: إن الله جسم ولحم ودم على صورة الإنسان. وانظر عن مذهبه أيضا: المقالات للأشعري ٢١٣/١ ؛ الملل والنحل ١٦٧/١ ؛ الانتصار للخياط، ص ٥٤.." [(١)]

"ما يسمى قدرة والإرادة ليست جزءا من مسمى القدرة، وهذا القول [هو] الموافق للغة القرآن (١) ، بل ولغات سائر الأمم هو أصح الأقوال.

وحينئذ فنقول: أنت قادر متمكن خلق فيك القدرة على الإيمان، ولكن أنت لا تريد الإيمان، فإن قال [له:] قل (٢) له يجعلني مريدا للإيمان. قال [له] : (٣) إن كنت تطلب منه ذلك فأنت مريد للإيمان، وإن لم تطلب ذلك فأنت كاذب في قولك، قل له: يجعلني مريدا للإيمان. فإن قال: فكيف تأمرني (٤) بما لم يجعلني مريدا له، لم يكن هذا طلبا للإرادة، بل [كان] (٥) هذا مخاصمة، وهذا ليس على الرسول جوابه، [بل] ولا (٦) في ترك جوابه انقطاع، فإن القدر ليس لأحد أن يحتج به (٧) .

[الوجه الثامن: أن يقال: كل من دعاه غيره إلى فعل وأمره به، فلا يخلو أن يكون مقرا بأن الله خالق أفعال العباد وإرادتهم (٨) وأنهم لا يفعلون إلا ما شاءه، (أو لا يكون مقرا بذلك، بل يقول: إنهم يفعلون ما لا يشاؤه) (٩) ، وهم يحدثون إرادات أنفسهم بلا إرادته. (١٠)

---

(١) ب، أ: وهو القول الموافق للغة القرآن.

(٢) له: في (ع) فقط.

(٣) أ، ب: قل له ؛ ن، م: قال.

(٤) أ، ب: يأمرني.

(٥) كان: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) أ، ب: ليس على الرسول صلى الله عليه وسلم بل ولا ؛ ع، ن، م، ليس على الرسول جوابه، ولعل الصواب ما أثبته.

(٧) بعد عبارة ((يحتج به)) يوجد سقط في نسختي (م) ، (ن) ، وسنشير إلى نهايته بإذن الله.

(٨) ب، أ: وإرادتهم.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦١٩/٢

(٩) ما بين القوسين في (ع) فقط.

(١٠) ب، أ: أو هم يجذبون إرادة أنفسهم بلا إرادته، وهو تحريف.." [١]

"العبادات، التي تقوي ما انعقد (١) سببه من الخير، وتدفع أو تضعف ما انعقد سببه من الشر. كما قال: " «إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض» " (٢) .

والفلاسفة تعترف (٣) بهذا، لكن هل ذلك بناء (٤) على أن الله يدفع ذلك بقدرته وحكمته، أو بناء على أن القوى النفسانية تؤثر؟ هذا مبني على أصولهم في هذا الباب.

ويحكى عن بطليموس (٥) أنه قال: " ضجيج الأصوات، في هياكل العبادات، بفنون اللغات، تحلل (٦) ما عقدته الأفلاك الدائرات "، وعن

---

(١) ن: ما اعتقد.

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى المنذري في " الترغيب والترهيب " ١٤٢/٣ (ط. مصطفى محمد عمارة ١٣٥٢ ١٩٣٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يغني حذر عن قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة "، قال المنذري: " رواه البزار والطبراني والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، يعتلجان: أي يتصارعان ويتدافعان ".

(٣) و: تعرف

(٤) ن، م: لكن هو بناء.

(٥) بطليموس القلوذي العالم المشهور صاحب كتاب المجسطي في الفلك، إمام في الرياضة، كان في أيام أندرياسيوس وفي أيام أنطميوس من ملوك الروم وبعد أيرقس بمائتين وثمانين سنة، فأما كتاب المجسطي فهو ثلاث عشرة مقالة، وأول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك. انظر عنه: تاريخ الحكماء ص ٩٥ - ٩٨ طبقات الأطباء ص ٣٥ - ٣٨ الفهرست لابن النديم ص [٠ - ٩] ٦٧ - ٢٦٨ خطط المقريزي ١٥٤/١

(٦) ح، ر: تحل.." [٢]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧٢/٣

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٤٦/٥

"وروى ابن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب " بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية. قال: فبينا عمر (١) يخطب في الناس، فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل. قال: فقدم رسول الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمونا (٢) ، فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل. فأسندنا ظهورنا إلى الجبل، فهزمهم الله. فقيل لعمر بن الخطاب: إنك كنت تصيح بذلك على المنبر ". (٣)

وفي الصحيحين عن عمر أنه قال: " وافقت ربي في ثلاث. قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ [سورة البقرة: ١٢٥] وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، قال: فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن﴾ ، فنزلت كذلك " (٤) .

وفي الصحيحين أنه «لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول

---

(١) ساقط من (ح) .

(٢) ح: فهزمنا.

(٣) ذكر هذا الخبر ابن الجوزي في تاريخ عمر بن الخطاب ص ١٤٩ - ١٥٠ وهو في أخبار عمر للطنطاويين ص ٤٥١ - ٤٥٢ تهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١، ج [٠ - ٩] ص ١٠ - ١١، الرياض النضرة ١٥/٢

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى من هذا الجزء ص ٢٢." (١)

"وهذه الخوارق لا تراد لنفسها، بل لأنها وسيلة إلى طاعة الله ورسوله، فمن جعلها غاية له ويعبد لأجلها، لعبت به الشياطين، وأظهرت له خوارق من جنس خوارق السحرة والكهان. فمن كان لا يتوصل إلى ذلك إلا بها، كان أحوج إليها، فتكثر في حقه أعظم مما تكثر في حق من استغنى عنها ؛ ولهذا كانت في التابعين أكثر منها في الصحابة.

ونظير هذا في العلم: علم الأسماء واللغات: فإن المقصود بمعرفة النحو واللغة التوصل إلى فهم كتاب الله ورسوله وغير ذلك، وأن ينحو الرجل بكلامه نحو كلام العرب. والصحابة لما استغنوا عن النحو واحتاج إليه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٤/٦

من بعدهم، صار لهم من الكلام في قوانين العربية ما لا يوجد مثله للصحابة ؛ لنقصهم وكمال الصحابة، وكذلك صار لهم من الكلام في أسماء الرجال وأخبارهم ما لا يوجد مثله للصحابة (١) ؛ لأن هذه وسائل تطلب لغيرها، فكذلك كثير من النظر والبحث احتاج إليه كثير من المتأخرين، واستغنى عنه الصحابة.

وكذلك ترجمة القرآن لمن لا يفهمه بالعربية، يحتاج إليه من لغته فارسية تركية ورومية، والصحابة لما كانوا عربا استغنوا عن ذلك.

وكذلك كثير من التفسير والغريب يحتاج إليه كثير من الناس، والصحابة استغنوا عنه.

فمن جعل النحو ومعرفة الرجال، والاصطلاحات النظرية والجدلية المعينة على النظر والمناظرة، مقصودة لنفسها، رأى أصحابها أعلم من

---

(١) (١ - ١) ساقط من (س) ، (ب) .." (١)

"له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر "، ومعلوم أنه لا يجيب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كل سائل سؤله إلا الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئا من ذلك.

الرابع: نزول أمره ورحمته لا تكون إلا منه، وحينئذ فهذا يقتضي أن يكون هو فوق العالم، فنفس تأويله يبطل مذهبه؛ ولهذا قال بعض النفاة لبعض المثبتين: ينزل أمره ورحمته؛ فقال له المثبت: فممن ينزل؟ ! ما عندك فوق شيء؛ فلا ينزل منه لا أمر، ولا رحمة ولا غير ذلك؟ ! فبهت النافي وكان كبيرا فيهم.

الخامس: أنه قد روي في عدة أحاديث: " ثم يعرج " وفي لفظ " ثم يصعد ".

السادس: أنه إذا قدر أن النازل بعض الملائكة، وأنه ينادي عن الله كما حرف بعضهم لفظ الحديث فرواه " ينزل " من الفعل الرباعي المتعدي أنه يأمر مناديا ينادي؛ لكان الواجب أن يقول: من يدعو الله فيستجيب له؟ من يسأله فيعطيه، من يستغفره فيغفر له؟ كما ثبت في [الصحيحين] ، و [موطأ مالك] و [مسند أحمد بن حنبل] ، وغير ذلك عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إذا أحب الله العبد نادى في السماء: ياجبريل، إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض "، وقال في البغض مثل ذلك.

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الفرق بين نداء الله ونداء جبريل، فقال في نداء الله: " يا جبريل، إني أحب فلانا فأحبه "، وقال في نداء جبريل: " إن الله يحب فلانا فأحبوه "، وهذا موجب اللغة التي بها

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٠٥/٨

خوطبنا، بل وموجب جميع **اللغات**، فإن ضمير المتكلم لا يقوله إلا المتكلم. فأما من أخبر عن غيره فإنما يأتي باسمه الظاهر وضمائر الغيبة. وهم يمثلون نداء الله بنداء السلطان ويقولون: قد يقال: نادى السلطان، إذا أمر غيره بالنداء . وهذا كما قالت الجهمية المحضة في تكليم الله لموسى: إنه أمر غيره فكلمه، لم يكن هو المتكلم.

فيقال." (١)

"ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال العبد: ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال الله: أثنى على عبدي، فإذا قال العبد: مالك يوم الدين؛ قال الله: مجدنى عبدي، فإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين؛ قال: هذه بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ، قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل ".

فهذا يقوله . سبحانه وتعالى . لكل مصل قرأ الفاتحة، فلو صلى الرجل ما صلى من الركعات قيل له ذلك وفي تلك الساعة يصلي من يقرأ الفاتحة من لا يحصى عدده إلا الله، وكل واحد منهم يقول الله له كما يقول لهذا، كما يحاسبهم كذلك، فيقول لكل واحد ما يقول له من القول في ساعة واحدة. وكذلك سمعه لكلامهم يسمع كلامهم كله مع اختلاف **لغاتهم**، وتفنن حاجاتهم، يسمع دعاءهم سمع إجابة، ويسمع كل ما يقولونه سمع علم وإحاطة لا يشغله سمع عن سمع. ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، فإنه . سبحانه . هو الذي خلق هذا كله، وهو الذي يرزق هذا كله وهو الذي يوصل الغذاء إلى كل جزء جزء من البدن على مقداره وصفته المناسبة له، وكذلك من الزرع.

وكرسيه قد وسع السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، فإذا كان لا يؤوده خلقه ورزقه على هذه التفاصيل، فكيف يؤوده العلم بذلك، أو سمع كلامهم، أو رؤية أفعالهم، أو إجابة دعائهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [الزمر: ٦٧] .

وهذه الآية مما تبين خطأ هؤلاء، فإنه سبحانه وتعالى قال: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه." (٢)

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٦٧

(٢) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١١٥

"وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه" فإذا كان هذا في كتب الأعاجم بألسنتهم؟ ومعرفتنا **بلغات** الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى فما وافقه فهو حق وما خالفه فهو باطل كما قال الله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ .

والاختلاف نوعان:

نوع في جنس اللغة كالعربية والفارسية والرومية واليونانية ويقال هي ونوع في أصنافهم إذ قد يكون في الألفاظ العرفية العامة والاصطلاحية الخاصة نظير ما في لغة العرب.

ولغة هؤلاء المصنفين منهم كانت من هذا النمط فأما الألفاظ التي أنزل الله بها القرآن الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين وأخذوا عنه لفظه ومعناه وتناقل ذلك أهل العلم بالكتاب والسنة بينهم خلف عن سلف فهذه لا يجوز أن يرجع في معانيها إلى مجرد أوضاعهم ولا ريب أن القوم أخذوا العبارات الإسلامية القرآنية والسنية فجعلوا يضعون لها معاني توافق معتقدهم ثم يخاطبون بها ويجعلون مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من." (١)

"والمطبوعات وما نشر حولها من دراسات، في كتاب يضم بين دفتيه - إن شاء الله - عناوين جميع مؤلفات شيخ الإسلام، وما وصل إلينا منها مخطوطا ومطبوعا، وما ترجم منها إلى **لغات** أخرى، وما عمل حولها من شروح أو اختصارات أو دراسات. أدعو الله أن يعينني على إكمال هذا المشروع، وأن يوفقني لنشر مالم ينشر من تراث الشيخ وإكمال ما نشر ناقصا ومشوها، ويجعل هذا العمل نافعا للعلماء والباحثين وعامة المسلمين.

عليه السلام هذه المجموعة

تحوي هذه المجموعة خمسا وعشرين رسالة وفتوى ومسألة، يوجد أكثرها ضمن مجاميع خطية في مكتبة جامعة برنستون، وقد آلت إليها من مكتبة الشطي (١) بدمشق التي كانت فيها نوادر المخطوطات ونفائس كتب الفقه والحديث، وخاصة للمؤلفين الحنابلة. كانت محتويات هذه المكتبة مفقودة منذ أكثر من قرن، حتى أصدرت جامعة برنستون عام ١٩٧٧/١٣٩٧ م فهرسا للمخطوطات العربية المحفوظة في قسم يهودا من مجموعة جاريت بمكتبة الجامعة، من إعداد رودلف ماخ، فظهر للباحثين أنها انتقلت إلى برنستون،

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٢٣٥

ولا زالت محفوظة هناك.

وسيلاحظ القارىء أن ست رسائل من هذه المجموعة (بأرقام ١٨-٢٣) تتناول موضوع الطلاق السني والبدعي وجمع الطلاق الثلاث

---

(١) هو الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن الشطي، إمام الحنابلة في الجامع الأموي، توفي سنة ١٢٩٥. كان قد اجتمع عنده من الكتب النفيسة مالم يجتمع عند غيره، فأوقف البعض منها، وبيع غالبها في تركته. انظر "روض البشر" لمحمد جميل الشطي (ص١٤٦) و"حلية البشر" للبيطار (٢/٨٤٨-٨٥٠) .." [1]

"والقول الثاني: قول من يجوز أن تكون هذه قرانا وإن لم ينقل بالتواتر. وكذلك يقول هؤلاء في كثير من الحروف التي يقرأ بها في السبعة والعشرة، لا يشترط فيها التواتر. وقد يقولون: إن التواتر منتف فيها أو ممتنع فيها. ويقولون: المتواتر الذي لا ريب فيها ما تضمنه مصحف عثمان من الحروف، وأما كيفيات الأداء مثل تليين الهمزة، ومثل الإمالة والإدغام، فهذه مما يسوغ للصحابة أن يقرأوا فيها **بلغاتهم**، لا يجب أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - تلفظ بهذه الوجوه المتنوعة كلها، بل القطع بانتفاء هذا أولى من القطع بثبوته. وما كان تلفظه به على وجهين كلاهما صحيح المعنى، مثل قوله: (وما الله بغافل عما تعملون (٨٥)) (١) ويعملون (٢) ، وقوله: (إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) (٣) إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله (٤) ، فهذه يكتفى فيها بالنقل الثابت وإن لم يكن متواترا، كما يكتفى بمثل ذلك في إثبات الأحكام والحلال والحرام، وهو أهم من ضبط الياء والتاء، فإن الله سبحانه وتعالى ليس بغافل عما يعمل المخاطبون بالقرآن، ولا عما يعمل غيرهم، وكلا المعنيين حق قد دل عليه القرآن في مواضع، فلا يضر أن لا يتواتر دلالة هذا اللفظ عليه. بخلاف الحلال والحرام الذي لا يعلم إلا بالخبر الذي ليس بمتواتر.

والعادة والشرع أوجب أن ينقل القرآن نقلا متواترا، كما نقلت جمل الشريعة نقلا متواترا، مثل إيجاب الصلوات الخمس، وأن صلاة

---

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) هي قراءة نافع وابن كثير ويعقوب وخلف.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٧/١

(٣) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٤) هي قراءة أبي جعفر وحمزة ويعقوب.." [1]

"أمرهم به وقالوا فيه طاعة، وهو غير المقول، ليس المراد أنهم بيتوا لفظا غير اللفظ الذي لفظت به، فإن هذا لا يضر إذا كان المعنى موافقا لما قاله.

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (٢) كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (٣)) (١) . فقوله "مالا تفعلون" هو مفعول القول، وهو المقول، وهم قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناه، فكان إخبارهم عن أنفسهم أنهم إذا علموا الأحب فعلوه، ووعدهم بذلك، والمقول هو فعلهم للأحب، وهو الموعود به المخبر عنه، فلامهم على أن قالوا مقولا هو موعود مخبر به ولم يفعلوه، وكان الفعل نفسه هو المقول، فالمقول هو المخبر عنه إن كان القول خبرا، والمأمور به والمنهي عنه إن كان القول أمرا أو نهيا. فإذا قال: لا أفعل، ثم فعل، فقد عاد لما قال، وإذا قال لأفعلن، ولم يفعل، فلم يفعل ما قال. وهذا هو المعنى المفهوم في مثل هذا اللفظ عند عامة الناس الخاصة والعامة، بل وفي سائر **اللغات**، فإذا قيل: فلان قد حلف أن لا يكلم فلانا، أو قال: لا أكلمه، ثم عاد إلى ما قال، فهموا منه أنه عاد إلى أن يكلمه، لم يفهموا أن ما مصدرية.

فصل

ومعنى قوله (ثم يعودون لما قالوا) (٢) أي إلى الذي امتنعوا عنه بقولهم، فإن القول إذا كان خبرا فالمقول هو المخبر عنه، وإن كان أمرا فالمقول هو المأمور به، وإن كان نهيا فالمقول هو المنهي عنه.

---

(١) سورة الصف: ٢-٣.

(٢) سورة المجادلة: ٢.." [2]

"الأصول، وهو ثابت بالنص والإجماع. وهذا يذكره بعض الناس قولا ثالثا في تخصيص العلة.

ويذكرون قولا رابعا، وهو أنه يجوز تخصيص (١) المنصوصة دون المستنبطة (٢) . وأكثر الناس في التخصيص من أصحاب الشافعي وأحمد كأبي حامد (٣) وأبي الطيب (٤) والقاضي أبي يعلى وابن عقيل

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١١٣/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤٠٦/١

= الدية، وهم عصبته أي قرابته الذكور البالغون من قبل الأب، الموسرون العقلاء. وأصل وجوب الدية على العاقلة حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري (٦٩١٠) ومسلم (١٦٨١) ، وفيه: "اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقضى أن دية جنينها غرة: عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها". وقد رد المؤلف في مجموع الفتاوى ٥٥٢/٢٠- ٥٥٤ على من يقول: إن حمل العاقلة على خلاف القياس. وقد قال به الحنفية، انظر: بدائع الصنائع ٢٥٥/٧. وراجع أيضا: فتح الباري ٣٤٦/١٢.

(١) في الأصل: "تخصيصها" ثم شطب عليها، والسياق يقتضي لفظ "تخصيص".

(٢) انظر: التمهيد ٧٠/٤.

(٣) هو أحمد بن بشر العامري، القاضي أبو حامد المروزي، أحد أئمة الشافعية، له كتب في الأصول والفروع. توفي سنة ٣٦٢. (تهذيب الأسماء واللغات ٢١١/٢) .

(٤) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر، أبو الطيب الطبري الشافعي، الإمام الجليل، الفقيه الأصولي القاضي. توفى سنة ٤٥٠. (تهذيب الأسماء واللغات ٢٤٧/٢) .." [1]

"- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر، القاهرة ١٩٦٤.

- تلخيص الموضوعات، للذهبي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، دار الفرقان، الرياض، ١٤١٩.

- التمهيد في أصول الفقه، للكلوذاني، ج ٤، تحقيق: محمد بن علي بن إبراهيم، مكة المكرمة ١٤٠٦.

- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عراق، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٣٧٨.

- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ط. القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية.

- التوقيف على مهمات التعاريف، لعبد الرءوف المناوي، ط. عالم الكتب، الماهرة، ١٤١٠.

- تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧.

- جامع الأصول في الأولياء، لأحمد ضياء الدين الكمشخانلي، ط. القاهرة، ١٣٢٨.

- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ط. إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٦.

- جامع الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط. البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٦- ١٣٨٢.

- الجامع الصحيح، للبخاري (بشرحه"فتح الباري") ، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٨٤/٢

- الجامع الصغير في حديث البشير النذير، للسيوطي، (بشرحه "فيض القدير") .
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب، القاهرة، ١٣٦٠.
- الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
- جامع المسانيد والسنن، لابن كثير، ط. دار الفكر، بيروت، ١٤١٥.
- جواهر المعاني في فيض أبي العباس التجاني، لعلي حرازم برادة، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٣م.
- حاشية ابن عابدين على الدر المختار= رد المحتار على الدر المختار، القاهرة: بولاق ١٢٧٢.
- الحاوي الكبير، للماوردي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٤.
- حلية الأبدال، لابن عربي، ط. مطبعة الفيحاء، دمشق، ١٩٢٩ م.." (١)

"أئمتهم الذين يقتدون بهم في دينهم. ومعلوم أن هؤلاء لا يكونون إلا قليلا، فكيف يقال: هم كثير؟.

والثاني: أن الأمر بالجهاد والصبر لا يختص بهؤلاء، والصحابة لم يكونوا كلهم ربانيين، فيقولون: أولئك أعطوا علما منعهم [من] الخوف.

الثالث: أن استعمال لفظ "الربي" في هذا ليس معروفا في اللغة، بل المعروف الأول. والذين قالوا ذلك قالوا: هو نسبة إلى الرب بلا نون، والقراءة المشهورة: "ربي" بالكسر، وما قالوه إنما يتوجه على قراءة من قرأ "ربيون" بالفتح، وقد قرئ "ربيون" بالضم. فعلم أنها **لغات.**

الرابع: أن الله تعالى يأمر بالصبر والثبات كل من يأمره بالجهاد، سواء كان من الربانيين أو لم يكن.

الخامس: أنه لا مناسبة في تخصيص هؤلاء بالذكر، وإنما المناسب ذكرهم في مثل قوله: (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم وأكلهم السحت) (١) ، وفي مثل قوله: (ولكن كونوا ربانيين) (٢) ، وهناك ذكرهم بـلفظ الربانيين.

السادس: أن "الرباني" قيل: منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، كالرقباني واللحياني، وقيل: إنه منسوب إلى ربان السفينة.

وهذا أصح، فإن الأصل عدم الزيادة في النسبة، لأنهم منسوبون إلى

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٥٩/٢

(١) سورة المائدة: ٦٣.

(٢) سورة آل عمران: ٧٩.." (١)

"وصار كثير من طلبة العلم وأذكياء المباحثين يقفون على أقسام محصورة وأمثال مسبورة في كلام كثير من الآخرين، فتوجب حسن الظن بعقول تدرك تلك المطالب، وافتقار رجال ذهبوا تلك المذاهب، وإن كانوا للسلف مخالفين، إذ ليس عندهم من السلف إلا أسماء مستطيرة وكلمات ليست بالكثيرة المعتبرة. ولولا أبهة الإسلام في قلوبهم لعدوهم من العمين، وإن كان في الناس من يعتقد هذا أو يتوقف فيه، وإنما سببه ضعف آثار المرسلين.

وإذا قيل "أهل الحديث" ذهبت أوهامهم إلى قوم من الرواة وضرب من النساخ والمستمعين، وإن رفعوا البابة إلى قوم من الحفاظ لبعض الأسماء **واللغات** إذا حدثوا، وظهر من الجهل والظلم اللذين وصف الله بهما الإنسان ما أوجب نقص العلم والدين. فهذا وأمثاله أسباب لما قضى به قدر الله في العالمين.

ثم مع ذلك فلله في كل زمان فترة من الرسل -كما قال الإمام أحمد (١) - بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، وإن كانوا هم الأقلين. بهم تقوم حجة الله في دق الدين وجله، ويحفظ بهم عمود الدين فرعه وأصله إلى يوم الدين. هم الوسط في هذه الأمة، كما أن هذه الأمة هم الوسط في الناس، فهم شهداء عليهم بما أخذوه عن خاتم النبيين، وهم ورثة الأنبياء فيما جاءوا به من العلم، وخلفاء الرسل فيما قاموا به من البلاغ المبين،

---

(١) في مقدمة "الرد على الجهمية والزنادقة".." (٢)

"فصل

في اسمه تعالى "القيوم"

وقد قرأ طائفة "القيام" و"القيم"، وكلها **مبالغات** في القائم وزيادة. قال الله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) (٢) ، (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) (٣) . فهو قائم بالقسط وهو العدل، وقائم على كل نفس بما كسبت، وقيامه بالقسط على كل نفس يستلزم قدرته، فدل هذا الاسم على أنه قادر وأنه عادل.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦٣/٣

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤٣/٥

وسنبين أن عدله يستلزم الإحسان، وأن كل ما يفعله فهو إحسان للعباد ونعمة عليهم. ولهذا يقول (٤) عقيب ما يعدده من النعم على العباد: (فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣)) ، وآلاؤه هي نعمه، وهي متضمنة لقدرته ومشيئته، كما هي مستلزمة لرحمته وحكمته.

وأيضا فلفظ "القيام" يقتضي شيئين: القوة والثبات والاستقرار، ويقتضي العدل والاستقامة، فالقائم ضد الواقع، كما أنه ضد الزائل،

---

(١) انظر تفسير الطبري (٣/١٠٩-١١٠) ، ففيه ذكر هذه القراءات وبيان أن معناها متقارب.

(٢) سورة آل عمران: ١٨.

(٣) سورة الرعد: ٣٣.

(٤) في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة.." [١]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/١٦١